شرح الايمان المسيحى

القديس امبروسيوس اسقف ميلان

ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطى

www.servant4jesus.co.nr

www.servant4jesus.co.nr

الكتاب الاول

١ ـ نقرأ فى كتاب الملوك أن ملكة الجنوب قد أتت لتسمع حكمة سليمان[١] ونقرأ أن الملك حيرام أرسل إلى الملك سليمان ليختبره[٢]، وهكذا فإن جلالتك المقدس إذ قد تتبَّعت هذه الأمثلة القديمة، فقد قررت أن تسمع مني الاعتراف بالإيمان. ولكنى لست سليمان حتى تتعجب من حكمتي، كما أن جلالتكم أوغسطس وحاكم العالم كله، والذي طلب مني القيام بوضع (بنود) الإيمان في كتاب، وهذا ليس بقصد تعليم فخامتكم ، ولكن لكى ينال الكتاب موافقتكم.

٢ ـ فلأي سبب أيها الإمبراطور أوغسطس تتوجه جلالتكم لتتعلم الإيمان، هذا الذي منذ طفولتكم المبكرة قد حفظتموه بتقوى وبمحبة؟ كما يقول الكتاب: " قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك" (إر١:٥). فالتقديس إذن لا يأتي من التقليد ولكن من عمل الروح، لذلك اسهر على مواهب الله وحافظ عليها، هذه التي وإن لم يُعلِّمك إياها أحد من الناس، ولكن بالتأكيد فإن الله هو الذي منحك وألهمك إياها..

٣ ـ إن جلالتك المقدس، وأنتم قاصدون الذهاب إلى الحرب تطلبون منى كتاباً لأفسّر وأشرح فيه الإيمان، وأنتم تعلمون أن إحراز الانتصارات إنما يكون بالإيمان بالقائد، أكثر من شجاعة الجنود. إن إبراهيم دخل المعركة ومعه ٣١٨ رجلاً[٣]، واسترد الغنائم من الأعداء الكثيرين، وبقوة تلك التي هي كانت إشارة إلى صليب مخلصنا واسمه[٤]، قهَر قوة خمسة ملوك مع جيوشهم، فإنه انتقم لجيرانه ونال النصرة وفدى ابن أخيه (أى لوط).وبالمثل فإن يشوع بن نون عندما لم يستطع أن يتغلب على العدو بقوة كل جيشه[٥]، فإنه انتصر بصوت سبعة أبواق مقدسة في المكان الذي أبصر فيه وتعرَّف على رئيس جند السماء[٦]. فجلالتكم الآن تُعدُّون للانتصار إذ أنك أنت خادم المسيح المخلص، والمدافع عن الإيمان الذي تطلب منى جلالتكم أن أقدمه لكم مكتوباً في كتاب.

٤ ـ وحقيقةً سوف آخذ على عاتقي واجب الوعظ للمحافظة على الإيمان أكثر من أسلوب الجدل حول الإيمان.. لأن الأسلوب الأول (الوعظ) يعنى الاعتراف بالإيمان بتقوى وورع، بينا الأسلوب الثاني (الجدل) يكون عرضة إلى افتراضات طائشة متهورة. ونظراً لأن جلالتكم لستم في حاجة إلى وعظ، فإني لا أطلب الاعتذار عن واجب الولاء لكم (بالكتابة)، بل سوف آخذ على عاتقي القيام بعمل جرئ، ولكنه في نفس الوقت معتدل وبسيط، لا يعتمد كثيراً على العقل والجدال بخصوص الإيمان، بقدر ما يعتمد على جمع عدداً كبيراً من الشواهد معاً[٧].

٥ ـ وكذلك من خلال أعمال المجامع المسكونية، فسوف أجعل أحدها هو دليلي الأساسي، وهو الذي قرَّره الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً[٨]، الذين هم على مثال

الذين خرجوا مع إبراهيم (للحرب)، ليكون قرارهم (إن جاز القول) نصب يُقام لإعلان انتصارهم على الكفر[٩] في كل العالم، هذا الانتصار الذي ساد بسبب قوة الإيمان الذي اتفق عليه الجميع، وحقاً كما يبدو لي، فإنه يمكن للمرء أن يرى يد الله في هذا، نظراً لأن العدد الذي كان له سلطة القرار في مجمعنا بخصوص الإيمان، هو نفسه كان مثالاً للولاء في السجلات القديمة (يقصد سفر التكوين بخصوص إبراهيم).

٦ ـ وهذا هو بيان وإقرار إيماننا، نحن نقول إن الله واحد، ونحن لا نفصل ابنه عنه كما يفعل الوثنيون[١]؛ ولا ننكر ـ كما يفعل اليهود، أن الابن مولود من الآب قبل كل الدهور، وبعد ذلك وُلد من العذراء، كما أننا لسنا مثل سابيليوس[٢] الذي خلط الآب مع الكلمة وبهذا يؤكد ويدافع عن أن الآب والابن هما ذات ونفس الشخص. وأيضاً ليس كما فعل فوتينوس[٣] Photinus الذي يتمسك بأن الابن بدأ وجوده في بطن العذراء. ولا نعتقد مع آريوس[٤] في وجود سلطات متعددة، وبهذا فهو مثل الوثنيين ـ الذين يعيشون في الجهل والظلام ـ وهكذا يكون عند آريوس أكثر من إله واحد. أما الوحي فيقول: " اسمع يا إسرائيل الرب إلهك إله واحد".

٧ ـ إن إله ورب هما اسم للجلالة (الإلهية)، اسم للقوة، كما يقول الله نفسه: " يهوه...، هذا اسمي" (خر٣:١٥)، وكما يعلن النبي في موضع آخر: " أنا الرب، هذا اسمي" (إش٤٢:٨). لذلك فالله يكون "هو"، كما أنه الرب، وهذا إما بسبب أن سلطانه هو على الكل، أو لأن هو ضابط كل الأشياء، والجميع يخشونه بلا استثناء.

٨ ـ إذن ، إن كان الله واحداً، فواحد هو الاسم، وواحدة هي القوة التي للثالوث. والمسيح نفسه قال بحق: " اذهبوا عمّدوا الأمم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨:١٩). لاحظ أنه يقول باسم وليس بأسماء .

٩ ـ وأكثر من هذا ، فإن المسيح نفسه يقول: " أنا والآب (نحن معاً) واحد"، وهو يقول واحد حتى لا يكون هناك انفصال في القوة والطبيعة، ولكن لاحظ مرة أخرى انه يقول: "نحن" (يقصد الآب والابن)، حتى يمكنك أن تتعرف على وجود الآب والابن نظراً لأننا نؤمن أن الآب الكامل قد ولد الابن الكامل، وأن الآب والابن هما واحد، وليس باختلاط الأشخاص ولكن بوحدانية الطبيعة.

١٠ ـ لذلك نحن نقول إنه يوجد إله واحد وليس إلهان أو ثلاثة. لأنه من الخطأ القول بوجود ثلاثة آلهة لأن هذا ما وقعت فيه هرطقة الآريوسيين الكفرة، عديمة التقوى، بما فيها من تجاديف، وبهذا فإنها تقسّم ألوهية الثالوث، بينما في قول الرب: " اذهبوا عمّدوا جميع الأمم باسم الآب والابن والروح القدس" يُوضِّح أن الثالوث هو قوة واحدة. نحن نعترف بالآب والابن والروح، وبذلك نفهم كمال ملء الألوهية وكمال وحدة القوة، في ثالوث كامل.

١١ ـ يقول الرب: " كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب سريعاً". إن مملكة الثالوث لا تنقسم، فإن كانت غير منقسمة فهي واحدة، لأن ما ليس هو واحد فهو منقسم، أما الآريوسيون فيريدون أن تكون مملكة الثالوث من النوع الذي يخرب بسهولة، بأن يجعلوها تنقسم على نفسها. ولكن إذ نحن نرى بالحق أنها لا يمكن أن تخرب ، فمن الواضح أنها غير منقسمة. لأنه لا توجد وحدانية تنقسم أو تنشطر إلى نصفين، لذلك فلا الزمن ولا الفناء يقوى عليها.

١٢ـ يقول الكتاب: " ليس كل مَن يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات" (مت٧:٢١). فالإيمان إذن أيها الإمبراطور الجليل لا يجب أن يكون مجرد عمل نؤديه، لأنه مكتوب: " غيرة بيتك أكلتني"[١]. دعنا إذن بروح مؤمنة مخلصة، نصلى ليسوع الرب، دعنا نؤمن أنه إله، وغايتنا من هذا هي أن كل ما نسأله من الآب باسمه يعطينا[٢]، لأن هذه هي مشيئة الآب أن التوسل إليه يكون عن طريق الابن، الابن الذي به نتوسل إلى الآب[٣].

١٣ـ إن نعمة طاعته تناسب وتوافق تعليمنا، وأعمال قوته تتوافق أيضاً مع هذا التعليم. لأن مهما كانت الأشياء التي يعملها الآب، فهي نفسها التي يعملها الابن كذلك[٤]. إن الابن يعمل نفس الأشياء، ويعمل بطريقة مماثلة، ولكن الابن يعمل بحسب مشيئة الآب في الشيء الذي يريد أن يفعله حتى يمكنك أن تفهم، ليس أنه لا يمكنه أن يعمل بطريقة أخرى، بل يمكنك أن تفهم أن هناك قوة واحدة تظهر للعيان. إذن فينبغي أن يكرّم ابن الله ويُعبد حقيقة، الذي بقوة لاهوته قد وضع أساسات العالم وبطاعته هذب مشاعرنا[٥].

١٤ـ لذلك يجب أن نؤمن أن الله صالح، أبدى، كامل، كُلّى القدرة، وحق مثلما يظهر لنا من خلال الناموس والأنبياء وبقية الكتب المقدسة، وبخلاف ذلك لا يوجد إله[٦]. لأن الذي هو إله لا يمكن أن يكون إلاّ صالحاً، لأننا نرى أن كمال الصلاح هو من طبيعة الله[٧]. كما أنه لا يمكن لله الذي خلق الزمن أن يكون زمنياً (خاضعاً للزمن) ، وأيضاً لا يمكن أن يكون الله غير كامل، فواضح أن أي كائن أدنى هو غير كامل، إذ نرى أنه ينقصه شيء يمكنه به أن يصير مساوياً لمن هو أعظم منه. هذا إذن هو تعليم إيماننا، وهو أن الله صالح، وأنه لا يوجد شيء مستحيل عند الله، وأن الله لم يوجد في الزمن، وأن الله أعلا من كل الكائنات. وإن كنت على خطأ، فدع خصومي يبرهنون على خطأي.

١٥ـ إذن، فإذ نرى أن المسيح هو الله، فتبعاً لذلك فهو صالح وكُلّى القدرة وأبدى وكامل وحق ، لأن هذه الخاصيات تخص الطبيعة الجوهرية للألوهية. دع خصومنا ينكرون الطبيعة الإلهية التي في المسيح، وإلاّ فإنه لا يمكنهم أن يرفضوا بالنسبة لله، ما هو خاص بالطبيعة الإلهية ولائق بها.

١٦ـ علاوة على ذلك، وحتى لا يقع أحد في خطأ، ليت الإنسان يصغى لتلك العلامات التي أعطتها لنا الكتب المقدسة، والتي يمكننا بها أن نعرف الابن. إنه يُسمّى الكلمة والابن وقوة الله وحكمة الله[٨]. فهو الكلمة لأنه بلا لوم، وهو القوة لأنه كامل، وهو الابن لأنه مولود من الآب، وهو الحكمة لأنه واحد مع الآب، واحد في الأبدية، واحد في الألوهية. ليس أن الآب شخص واحد مع الابن، فبين الآب والابن يوجد تمايز واضح، ناتج عن الولادة[٩]. هكذا المسيح هو إله من إله، أبدى دائم من أبدى دائم، الملء من الملء[١٠].

١٧ـ والآن فإن هذه ليست هي مجرد أسماء، إنما علامات قوة تُعلن نفسها من خلال الأعمال، لأنه بينما يوجد ملء الألوهية في الآب، فإنه يوجد أيضاً ملء الألوهية في الابن، ليسا مختلفين، بل هما واحد. إن اللاهوت ليس شيئاً به اختلاط، إذ أنه وحدة، وليس متعدداً (في الجوهر)، لأنه لا اختلاف في الجوهر.

١٨ـ وعلاوة على ذلك، إن كان قد كُتب بخصوص جميع الذين آمنوا أنه كان لهم نفس واحدة وقلب واحد[١١]، "وإن كان كل واحد يلتصق بالرب يكون معه روحاً واحداً" (١كو٦:١٧) كما يقول الرسول، وإن كان الرجل وزوجته يكونان جسداً واحداً[١٢]، وإن كنا نحن جميعنا البشر المائتين بحسب طبيعتنا المشتركة نكون من جوهر واحد. وإن كان هذا هو ما يقوله الكتاب المقدس بخصوص الإنسان المخلوق، إنه وإن كان متعدداً لكنه واحد[١٣]، وهو الذي لا يمكن أن يُقارن بالأقانيم الإلهية، فكم بالحري يكون الآب والابن واحداً في الألوهية، وهما اللذان لا يوجد بينهما أي اختلاف في الجوهر أو المشيئة !

١٩ـ لأنه بأي كيفية أخرى يمكننا أن نقول إن الله واحد؟ إن الألوهية تحوى التعدد، ولكن وحدة القدرة تمنع وتُعارض كمية العدد، إذ أننا نرى أن الوحدة ليست عدداً؛ ولكن هي نفسها أصل ومبدأ جميع الأعداد

٢٠ـ والآن فإن أقوال الأنبياء تشهد أيّة وحدة قوية توضح الكتب المقدسة أنها تقوم بين الآب والابن فيما يخص ألوهيتهما. لأنه هكذا يقول رب الصباؤوت[١]: " تعب مصر وتجارة الأثيوبيون والسبئيون الرجال الأقوياء يعبرون إليك، ويصيرون عبيدك، وخلفك يتبعون، وهم مربوطون بالقيود ويسجدون أمامك، وإليك يتضرعون لأن الله فيك، ولا يوجد إله آخر معك لأنك أنت الله، ولا نعرف آخر يا إله إسرائيل" (إش٤٥:١٤).

٢١ـ اسمع صوت النبي:" إن الله فيك، ولا يوجد إله آخر معك". كيف يتفق هذا مع تعليم الآريوسيين؟ يجب عليهم أن ينكروا إما ألوهية الآب أو الابن إن لم يؤمنوا ـ مرة واحدة ـ بوحدة نفس الألوهية.

٢٢ـ يقول: " لأن الله فيك"، لأن الآب في الابن، لأنه مكتوب:" الآب الحال في هو نفسه يتكلم"، وأيضاً:" الأعمال التي أعملها هو نفسه أيضاً يعملها" (يو١٤:١٠)، وأيضاً نقرأ ثانية أن الابن في الآب:" إني أنا في الآب والآب فيَّ" (يو١٤:١٠). دع الآريوسيين إن استطاعوا أن يزعزعوا هذه الوحدة التي في الطبيعة وفي العمل.

٢٣ـ لذلك فإنه يوجد إله، وليس إلهان، لأنه مكتوب أنه يوجد إله واحد[٢]، ورب في رب[٣]، ولكن ليس ربَّان، لأنه بخصوص هذا قد كتب: " لا تخدم سّيدين (ربّين)" (مت٦:٢٤)، ويقول الناموس " اسمع يا إسرائيل الرب إلهك رب واحد" (تث٦:٤)، وكذلك في نفس العهد مكتوب: " فأمطر الرب من عند الرب" (تك١٩:٢٤)، وبالمثل يمكنك أن تقرأ في سفر التكوين: " وقال الله... فعمل الله" (تك١:٦و٧)، وفي مكان آخر قبل ذلك يقول: " فخلق الله الإنسان على صورة الله" (تك١:٢٦و٢٧)، إذن ليس هناك إلهان ولكن إله واحد الذي خلق الإنسان. ففي أي وضع كما في الآخر، فإن وحدة العمل والاسم تظل مؤكدة، لأنه بالضرورة عندما نقرأ: " إله من إله"[٤]، فنحن لا نتكلم عن إلهين.

٢٤ـ مرة أخرى، فإنك تقرأ في المزمور الرابع والأربعين[٥] كيف أن النبي يدعو ليس فقط الآب إلهاً بل يدعو أيضاً الابن إلهاً، حيث يقول: " كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" [مز٤٤(٤٥):٦]، وعلاوة على ذلك: " الله (الذي هو) إلهك قد مسحك بزيت البهجة أفضل من رفقائك" [مز٤٤(٤٥):٧]. الله هذا هو الذي يَمسَح، والله الذي هو في الجسد والذي يُمسَح هو ابن الله، لأنه أي رفقاء للمسيح في مسحته سوى أولئك الذين صاروا له وهو في الجسد؟ فأنت ترى إذن أن الله يُمسَح بواسطة الله، ولكنه إذ يُمسَح وهو متخذ الطبيعة البشرية فإنه يُكرز به أنه "ابن الله"، إذن أساس الناموس لم ينكسر.

٢٥ـ لذلك أيضاً عندما تقرأ: " الرب أمطر من عند الرب"، فإنك تُقِرُّ وتعترف بوحدانية الألوهة، لأن الوحدانية في العمل لا تسمح بأكثر من إله واحد قائم بذاته، كما أوضح ذلك الرب نفسه بقوله: " صدقوني أنى أنا في الآب والآب فيَّ، وإلاّ فصدقوني بسبب الأعمال نفسها" (يو١٠:٣٨، ١٤:١١). هنا نرى أيضاً وحدانية الألوهة مُعبَّراً عنها بوحدانية العمل.

٢٦ـ والرسول وهو يثبت بعناية أنه يوجد لاهوت واحد للآب والابن معاً، وربوبية واحدة ـ حتى لا نندفع نحو أي خطأ، سواء نحو الوثنيين أو عدم تقوى اليهود ـ فإنه يوضِّح لنا القاعدة التي يجب علينا أن نتبعها، فيقول: " إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (١كو٨:٦)، فكما أنه في تسميته يسوع المسيح أنه "رب" فإنه لم ينكر أن الآب أيضاً "رب"، هكذا أيضاً في قوله: " إله واحد الآب" فإنه لا ينكر ألوهية

الابن الحقيقية، وهكذا فإنه يُعلّم ليس أنه يوجد أكثر من إله واحد، بل هو (يُعلّم أن) مصدر القوة هو واحد، نظراً لأن الألوهة تتضمن الربوبية، والربوبية تتضمن الألوهة، كما هو مكتوب: " اعلموا (بتأكيد) أن الرب هو الله، هو صنعنا وليس نحن" (مو٩٩:٣س).

٢٧ـ لذلك " فيك" "الله" بحسب وحدانية الطبيعة، " ولا يوجد معك آخر" بسبب الملكية الشخصية للجوهر بدون أي تحفظ أو اختلاف[٦].

٢٨ـ وأيضاً فإن الكتاب المقدس يتكلم في سفر إرميا عن إله واحد ومع ذلك فهو يعترف بكلا الآب والابن، فنقرأ: " هو إلهنا، وبالمقارنة معه، لا يعادله آخر، إنه كشف جميع طرق المعرفة وأعطاها ليعقوب عبده وإسرائيل محبوبه. بعد ذلك ظهر على الأرض وتكلم مع الناس"[٧].

٢٩ـ النبى يتكلم عن الابن، لأنه هو نفسه الذي تحَّدث مع الناس، وهذا ما يقوله: " هو إلهنا، وبالمقارنة معه لا يعادله آخر ". لماذا نشك فيه هذا الذي يقول عنه نبى عظيم مثل هذا إنه لا يوجد من يُقارن به؟ أي مقارنة مع آخر يُمكن أن تعمل عندما يكون الله واحداً؟ هذا هو اعتراف أناس محفوفين بالمخاطر وهم يحترمون ويُوقّرون الأمور الدينية، ولذلك فهم غير متمرسين في صراع المجادلات.

٣٠ ـ تعالَ أيها الروح القدس وساعد أنبياءك الذين أردت أن تسكن فيهم، الذين نؤمن بهم. هل نؤمن بحكمة هذا العالم إن كنا لا نؤمن بالأنبياء؟ ولكن أين الحكيم، أين الكاتب؟ بينما هذا القروي[٨] الذي يزرع التين، قد وجد ما لم يعرفه الفلاسفة، لأن الله قد اختار جُهَّال العالم ليخزى الأقوياء[٩]. هل نصّدق اليهود؟ لأن الله عُرف مرة من قبل في اليهودية. لا، إنهم ينكرون نفس الشيء الذي هو أساس إيماننا، فهم كما نرى لا يعرفون الآب إذ هم ينكرون الابن[١٠].

٣١ـ إن الطبيعة كلها تشهد على وحدانية الله من حيث إن العالم كله واحد. الإيمان يعلن أنه يوجد إله واحد، إذ أننا نرى اعتقاداً واحداً في كلا العهدين القديم والجديد، أما عن وجود روح واحد[١] كُلّى القداسة، فهذا ما تشهد له النعمة، لأنه توجد معمودية واحدة باسم الثالوث. إن الأنبياء يُعلنون، والرسل يسمعون صوت إله واحد. إن المجوس يؤمنون بإله واحد، وقد أحضروا معهم ـ تعبداً وإكراماً ـ ذهباً ولباناً ومراً، وهم ذاهبون إلى مزود المسيح معترفين من خلال الذهب بملوكيته، ومن خلال البخور كانوا يعبدونه كإله، لأن الذهب هو علامة الملوكية، والبخور علامة الألوهة، والمُرّ علامة الدفن.

٣٢ـ ماذا إذاً كان معنى الهدايا السَّرية التي قُدّمت، في إسطبل البهائم الوضيع، سوى أنه يجب أن نميِّز في المسيح الفرق بين الألوهة والجسد؟ إنه يُنظر إليه

كإنسان[٢] ولكنه يُعبد كرب. إنه راقد وسط الأقمطة ولكنه يشرق وسط النجوم. إن المهد يكشف ميلاده ولكن الكواكب تبرهن على سلطانه[٣]. إنه الجسد هو المُقمّط في الملابس ولكن الألوهة تتقبّل خدمة الملائكة، وبهذا فإن كرامة عظمته الطبيعية لم تُفقد وبهذا يتبرهن اتخاذه للجسد حقاً.

٣٣- هذا هو إيماننا، ولقد أراد الله، أنه ينبغي أن يكون معروفاً هكذا من الجميع، وهكذا آمن الثلاثة فتية[٤] ولم يشعروا بالنار التي ألقوا في وسطها، النار التي أهلكت وأحرقت غير المؤمنين[٥]، بينما صارت بلا ضرر وكَنَدَى على المؤمنين[٦]، الذين صارت النيران التي أشعلت بواسطة الآخرين باردة بالنسبة لهم، لأن الأتون قد فقد قوته تماماً في المعركة ضد الإيمان فقد كان في وسطهم واحد في شكل ملاك[٧] يُعزيهم[٨] وذلك بهدف أنه في عدد الثالوث يُقدم التسبيح والتمجيد لقوة واحدة فائقة السمو. لقد تمجد الله، ورأوا ابن الله في ملاك الله، والنعمة المقدسة الروحانية تكلَّمت في الفتية[٩].

٣٤- دعنا نتمعن في معارك الآريوسيين بخصوص ابن الله.

٣٥- إنهم يقولون إن ابن الله ليس مثل أبيه، وأن يُقال هذا عن إنسان فهذا يكون إهانة[١] له.

٣٦- يقولون إن ابن الله له بداءة في الزمن، بينما هو نفسه مصدر الزمن ومنظمه بكل ما (يوجد) فيه. نحن بشر ولا نريد أن نكون محدودين بالزمن لقد بدأ وجودنا مرة (في الزمن) ونحن نؤمن أنه سوف يكون لنا وجود (بعد ذلك) غير محدد بزمن. نحن نشتاق إلى الخلود فكيف يمكن إذن أن ننكر أزلية ابن الله، الذي أُعلِنَ أنه أزلي بالطبيعة، وليس بالنعمة؟

٣٧- إنهم يقولون إنه مخلوق، ولكن هل يُحصَى الصانع مع مصنوعاته وكيف نجعله يبدو وكأنه أحد المصنوعات التي صنعها هو نفسه؟

٣٨- إنهم ينكرون صلاحه وتجديفهم هذا هو نفسه الذي يدينهم، لذلك فلا يوجد رجاء لهم للغفران.

٣٩- إنهم ينكرون أنه بالحقيقة ابن الله، وينكرون أنه كُلّى القدرة إذ بينما هم يزعمون أن كل الأشياء قد صُنِعَت عن طريق خدمة الابن، فإنهم ينسبون المصدر الأصلي لوجود هذه الأشياء إلى قوة الله. ولكن ماذا تكون القوة سوى اكتمال الطبيعة[٢]

٤٠ـ وأكثر من هذا، فإن الآريوسيين ينكرون أن الابن واحد مع الآب في الألوهة[٣]. دعهم إذن يلغون الإنجيل، ويُسكتون صوت المسيح. لأن المسيح نفسه قال: " أنا والآب واحد " (يو١٠:٣٠)، لستُ أنا الذي أقول هذا، المسيح هو الذي قال. فهل المسيح مخادع حتى يكذب[٤]؟ وهل هو آثم حتى يَّدعى لنفسه ما لم يكنه بالمرة. وبخصوص هذه الأمور فنحن سوف نتناولها مرات عديدة، وبإسهاب أكبر في مكانها

٤١ـ وإذ نرى أن الهرطوقي يقول إن المسيح ليس مثل أبيه، ويسعى لتأكيد هذا بقوة الاحتيال والمراوغة، فيجب علينا أن نستشهد بقول الكتاب: " انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح، فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو٢:٨و٩).

٤٢ـ لأنهم إنما قد ادخروا كل قوة سمومهم في منازعاتهم الجدلية، والتي بحسب حكم الفلاسفة، ليست لها أي قوة لتقيم أو تؤسس أي شيء كما ينبغي، بل تهدف فقط إلى الهدم، ولكن ليس بالجدال قد سُرّ الله أن يُخلِّص شعبه لأن " ملكوت الله إنما هو ببساطة الإيمان وليس بإقناع الكلام" (١كو٤:٢٠)[٥].

٤٣ ـ يقول الآريوسيون إن المسيح ليس مثل الآب، أما نحن فننكر هذا القول، بل بالحري حقاً، نحن نجزع هلعاً عند سماع هذه العبارة. ومع ذلك فأنا أريد من جلالتك أن تثق في مناظراتنا ومحاوراتنا. دعنا نسأل الكتب المقدسة، الرسل، الأنبياء، المسيح، بل دعنا في كلمة (واحدة) نسأل عن الآب الذي يقول هؤلاء القوم إنهم يُرفِّعون من قدره عندما يدّعون أن الابن أدنى منه. علماً بأن إهانة الابن لن تؤول إلى كرامة للآب الصالح. ولا يمكن أن يُسرّ الآب الصالح إذا قيل إن الابن أقل من الآب، وليس مساوياً له .

٤٤ ـ إنني أتوسل إلى جلالتك أن تحتملني إن كنت ـ لفترة وجيزة ـ أوجه كلامي لهؤلاء الناس بنوع خاص. ولكن من منهم أختاره لأقتبس منه؟ أونوميوس[١] Eunomius، أم آريوس وإتيوس Aetius[2] معلميه، لأن أسماءهم كثيرة، ولكنهم مشتركون في كفر واحد، ثابت في الشر، ولكن في المناقشات، فإنهم ينقسمون على أنفسهم بغير اختلاف فيما يخص المخادعة والمكر؛ ولكن في مجموعهم يشتركون في الإقدام على بث الخلافات، ولكن لماذا لا يتفقون معاً فيما بينهم فهذا ما لا أفهمه؟!

٤٥ ـ الآريوسيون ينبذون شخص أونوميوس، ولكنهم يتمسكون بكفره ويسيرون في طرقه الشريرة. هم يقولون إنه بحماس كبير نشر كتابات آريوس. حقاً يا لها وفرة مسرفة في الضلال! إنهم يمدحون من أعطى الأمر ويرفضون من ينفذه! ولذلك فقد انقسموا إلى شيع متعددة. فالبعض يتبع أونوميوس أو إتيوس، والبعض

يتبع بلاديوس أو ديموفيلوس Demophilus وأكسينتيوس Auxentius أو الوارثين لهذا النمط من الكفر[٣]، وآخرون أيضاً يتبعون معلمين مختلفين، فهل انقسم المسيح[٤]؟ حاشا، ولكن أولئك الذين يفصلون المسيح عن الآب فإنهم يقطعون أنفسهم بأيديهم إلى أجزاء متباعدة

٤٦ ـ لذلك إذ أرى أن الرجال الذين لا يتوافقون بين أنفسهم وكلهم يتماثلون في التآمر على كنيسة الله، فسوف أطلق على أولئك الذين أرد عليهم، اللقب المشترك، "الهراطقة". إن الهرطقة هي مثل نوع من الطحالب المذكورة في الأساطير، والتي عندما تخرج، فإنها تغطى نفسها بطبقة سميكة من الشمع، كما أنه يحدث في أكثر الأحيان إنه عندما يقصر طولها بسبب ما ينالها من قطْع أجزاء منها فإنها تنمو من جديد. هذا النوع من الطحالب لا يمكن ملاشاته إلاّ بلهيب النار[٥]، أو مثل نوع من الـ"سكيللا" Scylla الهائلة والمريعة ـ ينقسمون إلى أشكال كثيرة من الكفر ـ فإنها تتخفى كما بقناع لتخفى غدرها، هكذا هم يتظاهرون بأنهم شيعة مسيحية. إن هؤلاء القوم البائسين والتعساء الذين يندفعون ذهابا وإياباً ـ يشبهون ذاك الوحش الذي يندفع وسط أمواج عنفه الشرير ـ هكذا هم أيضاً يندفعون وسط حطام مذهبهم، يتمرغون بتورطهم الشديد في تعاليمهم الكفرية متمنطقين بحيوانات متوحشة.

٤٧ ـ إن كهف هذا الوحش الفظ، يا جلالة الإمبراطور محفوظ كما يقول الملاحون في مرابض مختفية، ولذلك فإن جميع الجيران في المناطق المجاورة، يتعرفون عليه بواسطة نباح الكلاب، لذا فيجب علينا نحن أيضاً أن نرهف آذاننا جيداً إلى نباح كفرهم، لأنه مكتوب: " انظر، سيِّج أذنيك بالشوك" (يشوع بن سيراخ٢٨:٢٨) وأيضاً: " احذروا الكلاب، احذروا فعلة الشر" (فى٣:٢)، بل وأيضاً: " الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه، عالماً أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكوماً عليه من نفسه" (تى٣:١٠ـ١١). إذن فمثل بحارة حكماء، دعنا نقلع رافعين شراع إيماننا في الطريق الذي نعبره بأمان شديد، وأيضاً نتبع شواطئ الكتب المقدسة.

٤٨ ـ يقول الرسول إن المسيح هو صورة الآب، لأنه يدعوه: " صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة ". انتبه من فضلك، فهو يقول بكر وليس أول الخليقة، حتى نؤمن به أنه مولود حسب طبيعته[١]، وأنه الأول بسبب أزليته. وفي مكان آخر أيضاً، فإن الرسول قد أعلن أن الله جعل الابن: " وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي هو بهاء مجده وصورة جوهره" (عب١:٢و٣). فالرسول يدعو المسيح صورة الآب، بينما يقول آريوس إنه ليس مثل الآب، فلماذا إذن يُسمَّى صورة إن لم يكن مماثلاً (للآب)؟ إن البشر لن يقبلوا أن تكون الصور التي تُعمل لهم غير مماثلة لهم، وآريوس يقول إن الآب ليس مثل الابن، وأن الآب قد وَلَد شخصاً ليس مماثلاً له، وكأنه غير قادر أن يَلِد المماثل لنفسه.

٤٩ ـ يقول الأنبياء: " بنورك نرى نوراً" (مز٣٦:٩)، وأيضاً " الحكمة هي شعاع النور الأزلي ومرآة جلال (بهاء) الله التي لا عيب فيها وصورة صلاحه" (حكمة٧:٢٦). انظر أيَّة أسماء يعلنونها! " شعاع " لأنه في الابن يُشرق مجد الآب بوضوح، و"المرآة التي لا عيب فيها" لأن الآب يُرى في الابن[٢]، و"صورة صلاحه" لأن الذي يُرى منعكساً في آخر ليس جسم ما، بل كل القوة التي للاهوت، تُرى في الابن. إن كلمة " صورة " تُعلِّمنا أنه لا يوجد اختلاف، بل تعنى "التعبير" أو "نسخة طبق الأصل لهيئة الآب"، و"البهاء" يُعبِّر عن أزليته[٣]. إن " الصورة " في الحقيقة ليست هي لملامح أو تقاطيع جسدية، كما أنها ليست مصنوعة بالألوان، ولا شُكِّلت في (قالب) شمع، وإنما هي مستمدة ببساطة من الله، صادرة من الآب، رُسمت من الينبوع الأصلي.

٥٠ ـ وبواسطة هذه الصورة فإن الرب قد أظهر الآب لفيلبس بقوله: " الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن إني أنا في الآب والآب فيَّ؟"[٤]. حقاً إن من ينظر إلى الابن، يرى الآب في صورة شخصية[٥]. لاحظ أي نوع من الصورة نتكلم عنه. إنه الحق، البر، قوة الله[٦]، وهى ليست صماء، لأنها هي "الكلمة"، وليست عديمة الحس لأنها "الحكمة"، وليست باطلة وغبية، لأنها هي القوة، وليست بلا روح، لأنها هي الحياة، وليست ميتة لأنها هي القيامة[٧]. فأنت ترى إذن بينما الكلام هو عن صورة، فإنما المعنى المقصود هو الابن الذي هو صورة الآب، حيث إنه لا يمكن لأي كائن أن يكون هو صورة نفسه.

٥١ ـ ربما أكون قد وضعتُ ودوَّنتُ كثيراً من شهادات الابن، ولئلا نظهره ربما كأنه يشهد لنفسه أكثر، لهذا دعنا نتوجه إلى الآب لنتعلم منه، لأنه يقول: " نعمل الإنسان على صورتنا ومثالنا" (تك١:٢٦). إن الآب يقول للابن: " على صورتنا ومثالنا"، بينما أنت أيها الهرطوقي تقول إن الابن ليس مثل الآب.

٥٢ ـ يقول القديس يوحنا: " أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يو٣:٢). يا للجنون الأعمى! يا للعناد الذي لا يخجل! نحن بشر، ورغم ما نحن عليه فإننا سوف نكون مثل الله، فهل نجرؤ نحن وننكر أن الابن هو مثل الله؟

٥٣ ـ لذلك يقول الآب: " نعمل الإنسان على صورتنا وشبهنا". عند بدء العالم نفسه، وكما قرأت، كان الآب والابن موجودين. وأنا أرى خليقة واحدة، وأنا أسمع ذاك الذي يتكلم[٨]، وأنا أعترف بذاك الذي يعمل[٩]، ولكنني أقرأ عن صورة واحدة، مثال واحد. إن هذا المثال Likeness (الشبه) لا يخص التعدد والاختلاف ولكن يخص الوحدة. فما تدَّعيه إذاً أنت لنفسك، إنما قد أخذته من ابن الله، إذ أنك ترى في الواقع أنه لا يمكنك أن تكون " على صورة الله" إلاَّ بفضل " صورة الله" (يقصد الابن).

٥٤ ـ لذلك فمن الواضح أن الابن ليس غير مماثل للآب، وهكذا فإنه يمكننا أن نعترف بأكثر سهولة أنه أيضاً أزلي، لأن الذي هو مِثل الأزلي لابد أن يكون أزلياً. ولكن إن كنا نقول إن الآب أزلي ثم ننكر أزلية الابن، فنحن بهذا نقول إن الابن ليس مماثلاً للآب، لأن الزمني يختلف عن الأزلي. والنبي يُعلن أنه أزلي، وكذلك فإن الرسول يُعلن أنه أزلي؛ وكلا العهدين القديم والجديد هما على قدم المساواة مملوءان بالشهادة لأزلية الابن.

٥٥ ـ دعنا الآن نتناولهما بحسب ترتيبهما. ففي العهد القديم دعنا نستشهد بإحدى الشهادات العديدة، فإنه مكتوب: ".. قبلي لم يوجد إله وبعدى لا يكون" (إش٤٣: ١٠). إنني لن أعلّق على هذا الشاهد ولكنني أسألك مباشرةً: " مَن الذي يتكلَّم هذه الكلمات، الآب أم الابن؟". سواء قلت إنه الآب أو الابن، فسوف تجد نفسك مقتنعاً، وإن كنت مؤمناً فسوف تتعلّم. مَن إذن هو الذي ينطق بهذه الكلمات: الآب أم الابن؟ إن كان الابن فإنه يقول: " قبلي لم يوجد إله"، وإن كان الآب، فإنه يقول: " وبعدى لا يكون". فالواحد لا يوجد أحد قبله، والآخر لا يوجد أحد بعده. وكما أن الآب يُعرف في الابن، هكذا أيضاً فإن الابن يُعرف في الآب، لأنه في أي وقت تتكلَّم عن الآب، فأنت تتكلم أيضاً ضمنياً عن ابنه، إذ ترى أنه لا يوجد آخر سواه هو أبوه own fatherالخاص (الذاتي)؛ وعندما تذكر الابن، فأنت تعترف أيضاً بأبيه، نظراً لأنه لا يمكن أن يكون هناك آخر غير ابنه الخاص (الذاتي). وهكذا فإنه لا يمكن أن يوجد الابن بدون الآب ولا أن يوجد الآب بدون الابن. لذلك فالأب أزلي والابن أيضاً أزلي.

٥٦ ـ " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع with الله، وكان الكلمة الله، هذا نفسه the same كان في البدء مع الله" (يو١: ١). لاحظ كلمة "كان مع الله". انتبه! إن لدينا كلمة "كان" مكرَّرة ٤ مرات، أين يجد المجدّف أنه مكتوب: "لم يكن". ومرة ثانية، فإن يوحنا في عبارة أخرى في رسالته يتكلم عن: " الذي كان من البدء" (١يو١: ١). إن امتداد الـ "كان" لا نهائي. تصور أي طول للزمن تريده، ومع ذلك فإن الابن يظل كما هو: "كان".

٥٧ ـ والآن، فإنه في هذه الفقرة القصيرة، قد سدَّ صيَّادنا[١] الطريق على كل هرطقة، لأن الذي "كان في البدء" لا يُفهم أنه كان في الزمن، وهو لا يسبقه أي بدء. لذلك دع آريوس يكف عن الكلام. وإضافة إلى ذلك، فإن هذا الذي كان "مع الله" ليس مختلطاً أو ممتزجاً معه، ولكنه مُميَّز (يقصد التميُّز الأقنومي ـ المترجم)، بسبب الكمال التام الذي له، باعتباره الكلمة الموجود مع الله. لهذا، فدع السابليين أيضاً يصمتون[٢]. و" الكلمة كان الله"، فلذلك فإن هذه الكلمة ليس هو كلام منطوق، بل هو لقب مميَّز ذو رفعة سماوية، وهكذا يدحض تعليم "فوتينوس". بل والأكثر من هذا، فمن حقيقة أنه "في البدء كان مع الله"، تتبرهن الوحدة غير

المنقسمة للاهوت الأزلي للآب والابن، ودع أونوميوس[٣] يخزى ويخجل. وأخيراً وإذ نرى أنه مكتوب عنه أن جميع الأشياء خُلِقت به، فإنه يظهر جلياً أنه هو مصدر العهدين القديم والجديد كليهما، حتى لا يجد أصحاب مانى أي سبب أو أساس لهجومهم. وهكذا فإن الصياد الماهر قد اصطادهم جميعاً في شبكة واحدة، ليجعلهم غير قادرين على الخداع، ولو أنه سمك غير نافع بالمرة.

٥٨ ـ أخبرني أيها الهرطوقي ـ إذ أن سماحة الإمبراطور الفائقة تُخوّل إليَّ هذا التسامح لمخاطبتك لفترة وجيزة، ليس لأنني أريد أن أتباحث معك، أو لأنني أطمع أن أسمع حججك، ولكن لأني أريد أن أفندها. أريد أن تخبرني هل كان يوجد مطلقاً زمن لم يكن فيه الله الكلّى القدرة آباً، ومع ذلك فقد كان هو الله؟ إنك سوف ترد عليَّ وتقول: "إنني لم أتكلم شيئاً بخصوص الزمن". حسناً! ولكن أنت تعترض بطريقة خبيثة، لأنك إن أدخلت الزمن في الجدال، فأنت سوف تدين نفسك، إذ (بحسب رأيك) يجب أن تعترف أنه كان يوجد زمن لم يكن فيه الابن، بينما الابن هو الضابط الكل وهو خالق الزمن، لأنه لا يمكن أن يبدأ (الابن) في الوجود بعد شيء ما صنعه هو، لذلك فإنك ترى أنك تحتاج أن تعترف به سيداً وخالقاً لصنعته.

٥٩ ـ قد تجيب: " إنني لم أقل إن الابن لم يوجد قبل الزمن، ولكنني عندما أدعوه "ابناً"، فإنني أظهر وأوضح أن أباه موجود قبلاً منه، كما يُقال: " إن الآب موجود قبل الابن". ولكن ماذا يعنى هذا؟ أنت تنكر أن الزمن كان موجود قبل الابن، ومع ذلك فأنت تريد أن تقول إنه يوجد شيء يسبق وجود الابن، أي مخلوق زمني: أنت تُبيّن مراحل نشوء متوسطة متداخلة، وتريدنا بذلك أن نفهم أن الولادة من الآب قد حدثت في الزمن. إن قلت إنه ابتدأ أن يكون أباً، فيظهر لأول وهلة أنه كان إلهاً في الأول وبعد ذلك أصبح أباً. كيف يكون هذا بخصوص الله بينما هو غير متغيّر[١]، لأنه إن كان أولاً إلهاً ثم بعد ذلك صار أباً، فلابد بالتأكيد أنه قد حدث له تغير بسبب عملية الولادة المضافة والحادثة متأخراً.

٦٠ ـ ليت الله يحفظنا من هذا الجنون، فإننا لم نكتب إلاّ لندحض ونفنّد عدم تقوى الهراطقة. إن الروح التقية المتخشعة تؤكد ميلاداً ليس في الزمن، وهكذا تعلن أن الآب والابن متساويان في الأزلية، كما لا تعترف بأن الله قد خضع لأي تغيير.

٦١ ـ لذلك دعنا نقدم العبادة للآب والابن معاً ما داما متشاركان في الألوهة. لا تسمح للتجديف أن يشطر هذين اللذين قد ربطتهما الولادة معاً بقوة. دعنا نكرّم الابن فبهذا نكرّم الآب أيضاً كما هو مكتوب في الإنجيل[٢]. إن أزلية الابن هي بهاء جلال الآب وعظمته. إن لم يكن الابن منذ البدء، فسوف يكون الآب نفسه قد لحقه التغيير؛ ولكن الابن هو منذ الأزل، لذلك فالآب لم يعتره أي تغيير، لأنه دائماً غير متغير، لذلك فنحن نرى أن الذين ينكرون أزلية الابن سوف يعلّمون أن الآب متغيّر.

٦٢ ـ لدينا هنا برهان آخر يبّين بوضوح أزلية الابن. فالرسول يقول إن قوة الله والألوهة هما أزليان، وإن المسيح هو قوة الله، لأنه مكتوب أن المسيح هو: " قوة الله وحكمة الله" (١كو١:٢٣و٢٤)، فإن كان المسيح هو قوة الله، فمن ثمَّ نظراً لأن قوة الله هي أزلية فيكون المسيح أيضاً أزلياً.

٦٣ ـ فأنت لا تقدر إذن أيها الهرطوقي أن تبنى عقيدة مزيفة من خلال عُرف التناسل البشرى، ولا أن تجمع مدلولات من خلال حديثنا هذا، إذ أنه لا يمكننا أن نحيط بعظمة الألوهة غير المحدودة من خلال لغتنا المحدودة، لأنه: " ليس لعظمته استقصاء" (مز١٤٥:٣). إن كنت تبحث في أن تُعطى حساباً عن ميلاد إنسان، فإنه يلزمك أن نحدد زمناً، أمّا الميلاد الإلهي فهو فوق كل الأشياء، إنه يبلغ أقصى بُعده واتساعه، ويرتفع فوق كل فكر وإحساس، لأنه مكتوب: " ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي" (يو١٤:٦). لذلك فمهما تخيلت فيما يتعلق بالآب، حتى ولو كان أزليته، فلن تستطيع أن تدرك شيئاً عنه إلاّ بمعونة الابن، ولا يمكن لأي فهم أو إدراك أن يرتفع إلى الآب إلاّ بالابن. إن الآب يقول: " هذا هو ابني الحبيب" (مت١٧:٥، مر٩:٧، لو٩:٣٥). عليك أن تلاحظ وتنتبه إلى أن لفظة: "هو"، أي هو كائن كما هو إلى الأبد، ومن ثمَّ فإن داود تحرك ليقول: " يارب إن كلمتك مثبتة في السموات إلى الأبد" (مز١١٩:٨٩). إن ما يثبت لا يكف عن أن يكون موجوداً وأزلياً.

٦٤ ـ ولكنك قد تسألني كيف يكون المسيح ابناً إن لم يكن له أبٌ موجود قبله؟ وأنا بدوري أسألك كيف ومتى تظن أنت أن الابن قد وُلِدَ؟ أما بالنسبة لي فإن معرفة سر ميلاده تفوق ما يمكنني إدراكه[١]، والفكر يعجز واللسان يبكم، ودائماً، ولست أنا فقط، ولكن الملائكة أيضاً. إنه سر أسمى من قدرة القوات (الملائكة)، وفوق الملائكة وفوق الشاروبيم والساروفيم، وفوق كل الموجودات التي لها حسٌّ وإدراكٌ، لأنه مكتوب: " سلام المسيح الذي يفوق كل فهم" (فى٤:٧)، فإن كان سلام المسيح يفوق كل فهم، فكيف لا يكون هذا الميلاد العجيب فوق كل إدراك؟

٦٥ ـ فعليك إذن (مثل الملائكة) أن تُغطّى وجهك بيدك[٢]، إذ لم يُعط لك أن تتطلّع إلى الأسرار العجيبة! إنه من الجائز والمسموح به لنا أن نعرف أن الابن مولود، لا أن نجادل في طريقة ميلاده. إنني لا يمكنني أن أنكر الأمر الأول، أما الثاني فإنني أخشى أن أبحث فيه، لأنه إن كان بولس يقول إن الكلمات التي سمعها عندما اختُطِف إلى السماء الثالثة لا يُنطق بها[٣]، فكيف يمكننا نحن أن نشرح سر هذا الميلاد من الآب، الشيء الذي لا يمكننا أن نسمعه ولا أن نبلغه بعقلنا؟

٦٦ ـ ولكنك إن كنت تجبرنى على قبول قاعدة الولادة البشرية، حتى تدعنى أسمح لك أن تقول إن الآب كان موجوداً قبل الابن، فعليك أن تفكر، هل الأمثلة التي تُستمد من المخلوقات الأرضية، تكون مناسبة لتُبيّن وتُوضح الميلاد الإلهي. فإن كنا نتكلم بحسب ما هو معتاد أن يحدث بين الناس، فإنه لا يمكنك أن تنكر أنه ـ في الإنسان ـ

فإن التغيُّرات التي تحدث في كيان الأب (الوالد) تحدث قبل تلك التي تحدث في أبنائه. فالأب هو الأول في النمو، وفي الدخول في الشيخوخة، وفي أن يحزن، وفي أن يبكى. إذن فإن كان الابن يأتى بعده في الزمن، فالأب يكون أقدم في الخبرة عن الابن. وإن كان الابن يُولد، فإن الوالد يفلت من عار الولادة.

٦٧ ـ لماذا تجد لذة في هذا العذاب بالأسئلة. أنت تسمع اسم ابن الله، فإمّا أن تلغيه وتبطله، أو أن تقرّ وتعترف بطبيعته الحقيقية. أنت تسمعه يتكلم عن الرحِم، فعليك أن تعترف بحقيقة الميلاد الذي لا شك فيه[٤]، وتسمع عن قلبه ـ فعليك أن تعترف أنه يوجد هنا كلمة الله[٥]. وعن يده اليمنى ـ فعليك أن تعترف بقوته[٦]. وعن وجهه ـ فاعترف بحكمته[٧]. فعندما نتكلم عن الله، فلا يجب أن نفهم هذه الكلمات، كما نفهمها حينما نتكلم عن الأجساد. إن ميلاد الابن يفوق الفهم، والآب يلد الابن بدون ألم[٨]، ومع ذلك فإن الإله الحق قد وَلَدَ الإله الحق من ذاته وولده قبل كل الدهور. الآب يحب الابن[٩]، بينما أنت تفحص بقلق عن شخصه. إن الآب قد سُرَّ به[١٠]، أمَّا أنت فإنك تشترك مع اليهود إذ تنظر إليه بعين شريرة؛ الآب يعرف الابن[١١]، وأنت تشترك مع الوثنيين بسبّك وإهانتك وشتيمتك له[١٢].

٦٨ ـ أنت تسألني هل من الممكن أن يكون الآب سابقاً في وجوده (على الابن). وأنا أسألك أن تخبرني متى كان الآب موجوداً دون أن يكون الابن (معه). فأي برهان يمكن أن تقدمه أو ما هي الحجج والأدلة التي تؤيد ذلك من الكتاب المقدس. فإن كنت تعتمد على أدلة (من الكتاب)، فإنك بلا شك قد تعلمت أن قوة الله أزلية. فلابد أنك قرأت الكتاب القائل: " يا إسرائيل إن سمعت لى، فلن يكون فيك إله غريب ولا تسجد لإله أجنبي" (مز ٨١:٨و٩). أول هذه الوصايا يدل على أزلية (الابن)، والثاني منها يدل على امتلاكه لنفس الطبيعة، حتى إننا لا نستطيع أن نؤمن أنه جاء إلى الوجود بعد الآب، كما لا يمكننا أن نفترض أنه ابن لإله آخر. لأنه لو لم يكن موجوداً دائماً مع الآب، فإنه يكون إلهاً " غريباً " (جديداً)، وإن لم يكن من نفس الألوهة مع الآب، فهو يكون إلهاً " أجنبياً ". فالابن لم يوجد بعد الآب، لأنه ليس "إلهاً جديداً"، ولا هو " إله أجنبي "، لأنه مولود من الآب، ولأنه هو: " الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" (رو٩:٥) كما هو مكتوب.

٦٩ ـ ولكن إن كان الآريوسيين يعتقدون فيه أنه إله أجنبي، فلماذا إذن يعبدونه بينما الكتاب يقول: " لا تسجد لإله غريب؟ "، وإلاّ فإن كانوا لا يسجدون للابن، فليتهم إذاً يعترفون بذلك وبهذا ينتهي الموضوع، فلا يخدعون أحداً باعترافات ديانتهم. هذه هي إذن شهادات الكتب المقدسة. أمَّا إن كان عندك شهادات أخرى، فهذا هو عملك الذي عليك أن تقوم به.

٧٠ ـ دعنا الآن نتقدم أكثر لنستخلص الحقيقة من خلال البراهين والحجج. فمع أن البراهين تكون كافية عادةً للمنطق البشرى، إلاّ أن الهرطوقي لا يزال يجادل كما

تفعل أنت، فأنت تقول: " إن الاختبار يُعلّمنا أن الكائن الذي يلد هو سابق على " الكائن المولود "، وأنا أجيب: دعنا نتتبع اختبارنا المعتاد في كل جوانبه، فإن كانت باقي الجوانب تتفق مع ما تقوله هنا، فإنني لن أعارض ادعاءك وسوف أسلّم بما تقول، ولكن إن لم يوجد مثل هذا الاتفاق، فكيف تطالب بالموافقة على هذه النقطة الواحدة، بينما يعوزك السند في باقي الجوانب؟ فأنت باستنادك على ما هو معتاد تقول إن الابن عندما وُلِدَ من الآب كان طفلاً صغيراً. أنت تراه طفلاً يصرخ في المهد، وبمرور السنين أخذ ينمو من قوة إلى قوة ـ لأنه لو كان ضعيفاً بخضوعه لضعف الأشياء المولودة، فلابد أيضاً (الابن) أن يكون قد سقط تحت نفس الضعف فقط، ليس من جهة الولادة فقط بل من جهة الحياة أيضاً.

٧١ ـ ولكنك ربما بهذا تجرى نحو هوة من الغباء حتى تجعلك لا تحجم عن أن تؤكد على حدوث هذه الأمور مع ابن الله، وتقيسه كما تفعل الآن، بحسب مقياس الضعف البشرى. إذن فبينما أنت لا يمكنك أن ترفض أن تعطيه اسم إله، إلاّ أنك تنزع إلى إثبات أنه إنسان بسبب الضعف؟ وماذا إن كنت وأنت تفحص شخص الابن، فإنك تتشكك في الآب، وبينما أنت تحكم بتسرع على الأول (الابن)، فإنك تضم الآخر (الآب) تحت نفس الحكم!

٧٢ ـ لو كانت الولادة الإلهية خاضعة لحدود الزمن إن افترضنا هذا، باقتباس ما هو معتاد في الولادة البشرية، فإنه يتبع ذلك أن يكون الآب قد حبل بالابن في رحم جسدي، وتمخض تحت نير الحمل إلى أن انقضت عشرة أشهر. ولكن كيف يمكن أن يتم التوالد كما يحدث عادةً بدون اشتراك الجنس الآخر؟ إنك ترى أن النظام المعتاد للتوالد لم يكن هو ما حدث في البداية، وأنت تظن أن طرق التوالد العادي الذي تحكمه ضرورات معينة تخضع لها الأجساد، كانت سائدة دائماً فيما سبق. أنت تفترض الطريق المعتاد، وأنا أسأل عن اختلاف الجنس: أنت تتمسك بوجود الزمن، وأنا أتمسك بالطريقة (طريقة الولادة)، أنت تبحث في النهاية، وأنا أبحث في البداية.والآن، بالتأكيد فإن النهاية تعتمد على البداية، وليست البداية هي التي تعتمد على النهاية.

٧٣ ـ أنت تقول: " إن كل ما يولد له بداية، ولأن الابن هو ابن، فلابد أن تكون له بداية، وقد أتى إلى الوجود أولاً ضمن حدود الزمن. إن هذا هو ما ينطق به فم الهراطقة. أما بالنسبة لى، فإنني أعترف أن الابن مولود، ولكن بقية كلامهم تجعلني أرتعد. أيها الإنسان، هل تعترف بالله، وبعد ذلك تحط من كرامته بمثل هذا الافتراء؟ ليت الله ينقذنا من هذا الجنون.

٧٤ ـ إن الاعتراض التالي هو هذا: " إن لم يكن للابن تلك الصفات التي لجميع الأبناء، فلن يكون ابناً". ليت الآب والابن والروح القدس يسامحوني، لأنني أعرض الاعتراض بكل خشوع وورع. بالتأكيد، فإن الآب كائن وهو دائم إلى الأبد:

والأشياء المخلوقة موجودة كما رسم لها الله أن توجد. هل يوجد أي من هذه المخلوقات غير خاضع لحدود الزمن أو المكان أو لحقيقة أنه مخلوق، أو لعلة ما أو أصل خالق؟ بالتأكيد، لا يوجد. فماذا إذن؟ هل الله يحتاج إلى أي واحد من هذه المخلوقات؟ إن قلت هذا، فهذا هو التجديف بعينه. كفّ إذاً عن أن تنسب للألوهة ما هو خاص ومناسب فقط للموجودات المخلوقة. أما إن كنت تُصمّم على إتمام المقارنة (في الموضوع)، فتفكر ملياً إلى أين يقودك شرّك هذا. لا سمح الله لنا، حتى أن ترى نهاية هذه الأمور.

٧٥ ـ نحن نؤكد على الجواب الذي تعطيه التقوى. الله كُلّى القدرة، ولذلك فإن الله الآب لا يحتاج لأي من تلك الأشياء، إذ لا يوجد في الله أي تغيير أو احتياج إلى مثل هذه المعونة التي نحتاجها نحن. فإن ضعفنا يتم مساندته بأشياء من هذا القبيل. أمَّا الذي هو كلّى القدرة، فمن الواضح أنه غير مخلوق، وغير منحصر في مكان بعينه، وهو يتجاوز الزمن. قبل الله لم يكن شيء. حاشا، فحتى أن تتكلم عن وجود شيء قبل الله فهذا خطية فظيعة مُهلكة. إذن، فإن كنت تُسلّم أنه لا يوجد شيء في طبيعة الله الآب يلمح إلى أنه يحتاج إلى مساندة، بسبب كونه الله، فيتبع ذلك أنه لا شيء من هذا النوع يمكن أن يُفترض أنه يوجد في ابن الله، لا شيء يدل على بداءة أو ازدياد، من حيث إنه " إله حق من إله حق"[١].

٧٦ ـ وإذ نرى إذن، أننا لا نجد النظام المعتاد، سائداً هنا، فإننا نقتنع أيها الآريوسي، بأن نؤمن بميلاد عجائبي للابن. أقول لك: كن مقتنعاً، وإن كنت لا تُصدّقني، فاحترم على الأقل صوت الله الذي يقول: " بمن تشبهونني لنتشابه؟" (إش٤٦:٥س)، وأيضاً: " الله ليس إنساناً فيكذب" (عد٢٣:١٩). فإن كان الله حقاً يعمل بطريقة سرّية، إذ نراه لا يعمل أي عمل، أو يصنع أي شيء، أو يُحضِره إلى كماله، بواسطة عمل اليدين أو من خلال سير الزمن، لأنه: " أمَرَ فخُلِقت" (مز١٤٨:٥)، فلماذا لا نصدّق أن هذا الذي نعترف به كخالق يعمل بطريقة سرية ـ مميزين طريقته هذه في مخلوقاته ـ لماذا لا نصدق أنه قد ولد ابنه أيضاً بطريقة سرية؟ إنه من المناسب، بالتأكيد أن يُعتبر أنه قد ولد ابنه بطريقة خاصة وسرّية. فهذا الذي له الجلال المنقطع النظير، يليق به أيضاً المجد الخاص بالولادة السرّية.

٧٧ ـ وليس فقط ميلاد المسيح من الآب، بل أيضاً ميلاده من العذراء يدعو إلى تعجبنا. إنك تقول إن الميلاد الأول يكون بحسب الطريقة التي نولد بها نحن البشر. ولكنني سوف أريك بل وسوف أضطرك أنت نفسك أن تعترف، بأن الميلاد من العذراء أيضاً لا يشبه طريقة ميلادنا نحن. أخبرني كيف وُلد من مريم، وأي قانون يتفق مع الحمل به في رحم عذراء، كيف تكون هناك أية ولادة بدون زرع رجل، كيف يمكن لعذراء أن تحمل بطفل، وكيف صارت أماً قبل أن تختبر مثل هذا الاتصال الذي يتم بين الزوجات وأزواجهن. إنه لا يوجد سبب منظور ـ ومع ذلك فإن ولداً قد وُلد. كيف تم إذن هذا الميلاد تحت قانون جديد؟.

٧٨ ـ فإن لم يكن هذا النظام البشرى المعروف قائماً في حالة العذراء مريم، فكيف تطلب أنت أن تكون ولادة الله الآب لابنه بمثل الطريقة التي وُلِدتَ أنت بها؟ وبالتأكيد فإن النظام المعروف يتحقق بواسطة اختلاف الجنس، إذ أن هذا قد غُرس في طبيعة جسدنا، ولكن حيث لا يوجد جسد، فكيف يمكن أن تتوقع أن تجد ضعف الجسد. لا يستطيع أحد أن يحاكم مَن هو أفضل منه. فإن تؤمن فهذا ما أُمرتَ به دون أن يُؤذَن لك بأن تسأل أو تحاكِم، لأنه مكتوب: " آمن إبراهيم بالله فحُسب له براً" (تك١٥:٦). إن اللغة تقصر عن أن توضح ليس فقط ميلاد الابن بل حتى أعمال الله أيضاً، كما هو مكتوب: " كل أعماله تنجز بالأمانة" (مز٣٣:٤س). فأعماله إذن تُصنع بأمانة، ولكن ليس ميلاده. نحن دُعينا وأُمرنا أن نؤمن، وبدلاً من أن نسأل عن ما نراه بعيوننا، نجد أنفسنا أننا نفحص ونفتش ونرتاب في ما لا نراه؟

٧٩ ـ سوف يُطرح السؤال: " بأي طريقة وُلِدَ الابن؟ (فنجيب) لقد وُلِدَ كائناً له دوام أبدى، وُلِدَ كلمة، وُلِدَ كبهاء النور الأزلي[١]. فالبهاء يكون فاعلاً في لحظة مجيئه إلى الوجود. هذا المثل ليس من عندي ولكنه من عند الرسول (بولس). فلا تفكر إذن أنه كانت هناك لحظة من الزمان على الإطلاق كان الله فيها بدون حكمة، مثلما لم يكن هناك زمن على الإطلاق كان النور فيه بلا إشعاع. لا تحكم أيها الآريوسي على الأمور الإلهية بمقاييس بشرية، ولكن آمن بالأمور الإلهية عندما لا تجد (ما يماثلها في) الأمور البشرية.

٨٠ ـ لقد أبصر الملك الوثني في النار التي ألقى فيها الثلاثة فتية اليهود ـ رابعاً معهم شبيهاً بملاك[٢]، ولأنه ظن أن هذا الملاك يفوق جميع الملائكة، فإنه حكم بأنه ابن الله، وهو الذي لم يكن قد سمع عنه، ولكنه آمن به، وإبراهيم أيضاً أبصر ثلاثة وسجد لواحد[٣].

٨١ ـ بطرس لما رأى موسى وإيليا على الجبل مع ابن الله، لم ينخدع بسبب طبيعتهما ومجدهما. وهو لم يسأل أحداً منهما، إنما سأل المسيح عما يجب أن يعمله، فمع كونه قدَّم الاحترام والوقار للثلاثة، ولكنه انتظر الأمر من واحد. ولكن بسبب أنه بجهالة فكر بأن يصنع ثلاث مظال، إلاَّ أن الصوت الإلهي المهيمن الذي لله الآب قد صحح وتدارك هذا بقوله: " هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا" (مت١٧:٥)، أي: " لماذا تضع إخوتك العبيد على قدم المساواة مع سيدك؟"، إن " هذا (وحده) هو ابني"، " موسى ليس ابني"، " وإيليا ليس ابني" بل " هذا هو ابني". ولم يكن الرسول غبياً بل فهم التوبيخ، لذلك فإنه سقط على وجهه وانحنى متضعاً لصوت الآب وللجمال المُمجد الذي للابن، ولكن الابن أقامه، الذي يُسرّ بأن يقيم الساقطين[٤]. وبعد هذا فإنه رأى واحداً فقط[٥]، ابن الله فقط، لأن العبيد انسحبوا، ليظهر أنه هو الرب وحده، وهو وحده الذي سُمِّي " الابن".

٨٢ ـ ماذا إذن كان الغرض من هذه الرؤيا والتي بيّنت أن المسيح وعبيده هم غير متساوين، بل وتدل على سر، إذ ينبغي أن يصير جلياً لنا أن الناموس والأنبياء متفقون مع الإنجيل، ويعلنون أن المسيح هو ابن الله الأزلي، الذي سبق أن بُشروا به. لذلك فعندما نسمع أن الابن يخرج من الرحم، كما أن الكلمة يخرج من القلب، فليتنا نؤمن أن الابن المبارك ليس مخلوقاً بل هو مولود من الآب، ليس هو عمل صانع ماهر، ولكنه مولود الآب.

٨٣ ـ فذاك الذي قال: " هذا هو ابني" لم يقل: " هذا مخلوق في الزمن" ولم يقل: " هذا الكائن هو خليقتي، ولا هو من من صنعي، ولا هو خادمي"، ولكنه قال: " هذا هو ابني الذي ترونه مُمجداً". هذا هو إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب الذي ظهر لموسى في العليقة[٦]، والذي قال عنه موسى: " الذي هو الكائن قد أرسلني". لم يكن الآب هو الذي تكلم مع موسى في العليقة أو البرية، بل الابن. وعن موسي هذا تكلم اسطفانوس قائلاً: " هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك"[٧]. إذن، فهذا هو الذي أعطى الناموس، والذي تكلم مع موسى قائلاً: " أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب". هذا هو، إذن، إله الآباء البطاركة، هذا هو إله الأنبياء.

٨٤ ـ لذلك، فعن الابن نحن نقرأ، فليفهم عقلك القراءة، ودع لسانك يعترف ابتعد عن المجادلات حيث يكون الإيمان مطلوباً. دع المنطق الجدلي يهدأ حتى في وسط مدارسه الخاصة. أنا لا أسأل ما الذي يقوله الفلاسفة، ولكنني أريد أن أعرف ماذا يعملون. إنهم يقفون مهجورين في مدارسهم. انظر إلى نصرة الإيمان على المجادلات. إن هؤلاء الذين يجادلون بدقة، إنما يهجرهم زملاؤهم كل يوم، وأولئك الذين يؤمنون ببساطة يزدادون كل يوم. إن الذين يُصدقهم الناس الآن ليسوا هم الفلاسفة بل صيادي السمك، ليس المتمرسون في المنطق ولكن جباة الضرائب. إن أولئك بالملذات والترف قد وضعوا ثقل العالم على أنفسهم، والآخرون بالصوم وإماتة الشهوات قد طرحوا هذا الحمل عنهم، وهكذا يبدو أن الحزن قد أخذ يربح أتباعاً أكثر من أتباع اللذة.

٨٥ ـ دعنا الآن نرى إلى أي مدى يختلف الآريوسيون عن الوثنيين. إن الوثنيين يتخذون لأنفسهم آلهة مختلفة في الجنس وغير متساوية في القوة، بينما يؤكد الآريوسيون ويقرون (إيمانهم) بثالوث ولكن بدون تساوي في القوة، وتنُّوع في الألوهية. يؤكد الوثنيون أن آلهتهم قد بدأت وجودها في زمن ما، والآريوسيون يجاهرون كاذبين أن المسيح بدأ في الوجود في زمن ما. ألم يصبغ الجميع عقوقهم وعدم تقواهم في أوعية الفلسفة؟ ولكن في الحقيقة، فإن الوثنيين يمجدون ويُرفّعون ما يعبدونه[٨]، بينما يقول الآريوسيون إن ابن الله، الذي هو إله، إنما هو مخلوق.

٨٦ ـ أعتقد أنه قد صار واضحاً الآن، لجلالتك المقدسة، أن الرب يسوع ليس مختلفاً عن الآب، كما أنه لم يبدأ وجوده أثناء الزمن. ومع ذلك، فلا يزال علينا أن ندحض تجديفاً آخر، وأن نوضح أن ابن الله ليس كائناً مخلوقاً. نجد هنا الكلمة الحية التي نقرأها كمعين لنا، لأننا قد سمعنا العبارة التي يقول فيها الرب: " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦:١٥). إن الذي يقول " للخليقة كلها" لا يستثنى شيئاً، فكيف يتأتى لهم أن يدّعوا على المسيح أنه "مخلوق"؟، لأنه لو كان مخلوقاً، فهل كان يمكنه أن يأمر أن يُكرز بالإنجيل له هو نفسه؟، لذلك، فالذي يسلّم لتلاميذه عمل الكرازة للمخلوقات، ليس مخلوقاً بل خالقاً.

٨٧ ـ فالمسيح، إذن، ليس كائناً مخلوقاً، لأن الأشياء المخلوقة كما يقول الرسول: " قد أخضِعت للبُطل" (رو٨:٢٠)، فهل المسيح أخضِع للبُطل؟ وأيضاً، " فإن الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن" (رو٨:٢٢) كما يقول نفس الرسول، ماذا إذن؟ هل المسيح له نصيب في هذا الأنين والمخاض، وهو الذي حرّرنا نحن الباكين البؤساء من الموت؟ يقول الرسول: " الخليقة سوف تُعتق من عبودية الفساد" (رو٨:٢١). نحن نرى إذن أنه بين الخليقة وخالقها يوجد اختلاف شاسع، لأن الخليقة مستعبدة، " أما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب فهناك حرية" (٢كو٣:١٧).

٨٨ ـ مَن هو ذاك الذي قاد أولاً إلى هذا الضلال بإعلانه أن الذي خلق الأشياء وصنعها، يكون مخلوقاً؟ إنني أتساءل: هل الرب يخلق نفسه؟ إننا نقرأ: " كل شيءبه كان وبغيره لم يكن شيءمما كان" (انظر يو١:٣). وإن كان هو هكذا، فهل هو خلق نفسه؟ نحن نقرأ : " الله بالحكمة صنع كل شيء" (مز١٠٤:٢٤)، ومن يستطيع أن ينكر المكتوب؟ فإن كان الأمر هكذا فكيف يمكننا أن نفترض أن الحكمة قد خُلِقت بنفسها؟

٨٩ ـ إننا نقرأ أن الابن مولود، بحسب ما يقول الآب: " مِن الرحم قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز١٠٩:٣س). ونقرأ عن " الابن البكر"[١] وعن "الابن الوحيد"[٢] فهو البكر لأنه لا يوجد أحد قبله، وهو "الابن الوحيد"، لأنه لا يوجد بعده أحد. ونقرأ أيضاً: " وميلاده generation من يُخبر به" (إش٥٣:٨س). لاحظ أنه مكتوب: "ميلاده" وليس "خلقته". وأي مجادلات يمكن أن تقف أمام شهادات عظيمة وقوية جداً مثل هذه.

٩٠ ـ وعلاوة على ذلك، فإن ابن الله يكشف الفرق بين الميلاد والنعمة عندما يقول: " إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يو٢٠:١٧)[٣]. فهو لم يقل: "إني أصعد إلى أبينا"، وإنما قال: " إني أصعد إلى أبي وأبيكم". هذا التمييز إنما هو برهان على الفرق، فالذي هو أب المسيح هو خالقنا نحن.

٩١ ـ وعلاوة على ذلك، فإنه يقول: " وإلهي وإلهكم"، لأنه رغم أنه هو والآب واحد، والآب هو أبوه إذ له نفس طبيعة أبيه ـ بينما قد بدأ الله أن يصير أباً لنا بواسطة عمل الابن، ليس بفضل الطبيعة بل بالنعمة، إلاّ أنه ينبهنا هنا إلى وجود طبيعتين معاً في المسيح، اللاهوت والناسوت، اللاهوت من أبيه، والناسوت من أمه. الأولى كائنة قبل الأشياء، والثانية مأخوذة من العذراء. بسبب الأولى ـ إذ هو يتكلم على أنه الابن، فهو يدعو الله أباه، وبعد ذلك، إذ يتكلم كإنسان، فإنه يدعوه إلهاً له.

٩٢ ـ ففي الحقيقة نجد في مواضع كثيرة، شهادات في الكتب المقدسة تبين أن المسيح، عندما يدعو الله إلهه، فإنه يفعل هذا كإنسان، مثل: " إلهي إلهي لماذا تركتني" (مز٢٢:١)[٤]، وأيضاً: " من بطن أمي أنت إلهي" (مز٢٢:١٠). ففي الشاهد الأول، فإنه يتألم كإنسان، وفي الثاني، فإن إنساناً هو الذي خرج من رحِم أمه. وهكذا، فإنه عندما يقول: " من بطن أمي أنت إلهي"، فهو يعني أن هذا الذي كان أبوه على الدوام، هو أيضاً إلهه من لحظة خروجه من بطن أمه.

٩٣ ـ وهكذا نرى أننا عندما نقرأ في الأناجيل وفي الرسائل وفي الأنبياء، فإننا نجد انه مكتوب عن المسيح أنه "مولود"، فكيف يجرؤ الآريوسيون أن يقولوا إنه مخلوق أو مصنوع؟ كان يجب عليهم في الحقيقة أن يفكروا ويتأملوا ملياً في هذه الشهادات، وأين يقرأوا فيها عنه أنه مخلوق أو مصنوع؟ وإذ قد بيّنا بوضوح أن ابن الله، مولود من الله، دعهم إذن يفكرون ويفحصون فيما هو مكتوب، أين قرأوا أنه مصنوع، وسوف يرون أنه لم يصر إلهاً ولكنه وُلِدَ إلهاً، وهو ابن الله، وبعد ذلك، صار إنساناً من مريم، حسب الجسد.

٩٤ ـ " ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس" (غل٤:٤). لاحظ جيداً القول، فإنه يقول ابنه، فهو ليس واحداً من كثيرين، ولا هو شريك مع آخر، ولكنه ابنه الخاص. وكذلك، فإنه في القول "ابنه"، فإن الرسول هنا يوضِّح أنه من جهة طبيعة الابن فإن ميلاده كان أزلياً، ويؤكد عنه الرسول أنه بعد ذلك صار من امرأة، حتى لا يُفهم أن الصيرورة خاصة بالألوهة، ولكن بسبب لبسه جسداً "مصنوعاً من امرأة" بأخذه جسداً "مصنوعاً تحت الناموس" أي بواسطة حفظ الناموس. وهكذا فإنه بينما الأولى، أي الولادة الروحية هي قبل وجود الناموس، فإن الأخرى هي بعده.

٩٥ ـ إن اقتباس الهراطقة المعتاد من الكتاب المقدس للآية: " الله جعله رباً ومسيحاً" لن يؤدي إلى غرض أو غاية. ليت هؤلاء الجهلاء يقرأون العبارة كلها ويفهمونها، لأنه هكذا هو مكتوب: " الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً"[١]. إنه ليس اللاهوت ولكن الجسد هو الذي صُلِب، وهذا في الواقع

ممكن لأن الجسد الذي أخذه هو قابل للصلب، ولهذا فإنه لا ينتج عن ذلك أن يكون ابن الله كائناً مخلوقاً.

٩٦ ـ دعنا نوضح بعد ذلك بسرعة تلك الآية الأخرى التي يسيئون تفسيرها ـ لكي يتعلموا ما هو معنى الكلمات: " الله خلقني". إنه لم يُكتب: " الآب خلقني"[٢]. الذي يتحدث هنا هو الجسد الذي يعترف بربه، والتسبيح يُعلِن عن الآب: إن طبيعتنا المخلوقة تعترف بالأول، وتحب الآخر وتعرفه. من إذن لا يمكنه أن يلاحظ أن هذه الكلمات تُعلِن التجسد؟ فالابن يتكلم عن نفسه كمخلوق، أي الجسد الذي يشهد به لنفسه، إنه إنسان، حينما يقول: " لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق؟" (يو٨: ٤٠). إنه يتكلم عن بشريته، والتي صُلِب بها ومات ودُفن.

٩٧ ـ وعلاوة على ذلك، فإنه لا يوجد شك أن الكاتب يتكلم عما هو آتٍ (مستقبلاً) وكأنه تمَّ في الماضي، وهذا هو العُرف في النبوة أن الأشياء الآتية يُذكَر كما لو كانت في الحاضر أو قد تمت في الماضي. ونعطي مثلاً على ذلك، ففي المزمور ٢٢ قد قرأت : " أقوياء باشان اكتنفتني"[٣] وأيضاً: " اقتسموا ثيابي بينهم"[٤]. هذا يوضحه الإنجيلي أنه إنما كُتب نبوياً عن زمن الآلام، لأنه بالنسبة لله، فإن الأشياء الآتية في المستقبل تكون حاضرة أمامه، ولذا فإن الذي يعرف كل الأشياء قبل حدوثها تظهر له كما لو أنها تمت وانقضت، كما هو مكتوب: " الذي صنع الأشياء التي ستكون"[٥].

٩٨ ـ فليس من العجب إذن أن يُعلن عن مكانه أنه قد تعيّن ونُصِبَ قبل كل العوالم، إذ نرى أن الكتب المقدسة تخبرنا أنه قد تعين من قبل، أي قبل الأزمنة والدهور. إن العبارة التالية تكشف كيف أن الكلمات التي هي مضمون التساؤل تعلن عن نفسها كنبوة حقيقية عن التجسد: " الحكمة بنت لها بيتاً، أقامت سبعة أعمدة لتُدعِّمها، وذبحت ذبحها، ومزجت خمرها في الطاس، وأيضاً رتبت مائدتها، وأرسلت خدامها وهم ينادون بصوتٍ عالٍ، يدعون الرجال معاً وهي تقول: من هو بسيط فليمل إلىَّ" (أم٩: ١ـ٤س). أما نرى في الإنجيل أن جميع هذه الأشياء قد تحققت بعد التجسد، إذ أن المسيح كشف أسرار العشاء المقدس، وأرسل تلاميذه وصرخ بصوتٍ عالٍ، قائلاً: " إن عطش أحد فليُقبل إلىّ ويشرب" (يو٧: ٣٧). إذن، فما يأتي بعد ذلك إنما يجيب عما جاء قبله. ونحن نرى بأنفسنا قصة التجسد كلها مبينة وموضحة باختصار بواسطة النبوة.

٩٩ ـ وتوجد مقاطع كثيرة يمكن أن نرى فيها أنها نبوات من هذا النوع بخصوص التجسد، ولكن لن أتعوّق (في البحث) في الكتب، لئلا يبدو البحث طويلاً جداً.

١٠٠ ـ والآن أود أن أسأل الآريوسيين بالذات إن كانوا يعتقدون أن مولود ومخلوق لهما نفس المعنى. إذا كانوا يعتبرونهما بنفس المعنى الواحد، فلا يكون هناك إذن

فرق بين الولادة والخلقة. وعليه لأننا نحن أيضاً مخلوقون، فلا يكون بيننا وبين المسيح أي فرق. ومهما كان جنون الآريوسيين عظيماً، إلاّ أنهم لن يتجاسروا أن يقولوا هذا.

١٠١ ـ وبالإضافة إلى ذلك، إذا ما وافقنا على ما هو ليس حقيقياً وأخذنا بغبائهم، أود أن أسألهم إن كان لا يوجد فرق في الألفاظ كما يظنون، فلماذا لا ينادون الذي يعبدونه باللقب الأفضل؟ لماذا لا ينتفعون من " كلمة الآب"؟ ولماذا يرفضون لقب الكرامة ويستعملون اسماً مهيناً؟

١٠٢ ـ وإن كان يوجد مع ذلك تمييز ـ كما أظن ـ بين كلمة "مخلوق" وكلمة "مولود"، فإننا عندما نقرأ عنه أنه "مولود" ، فبالتأكيد سوف لا نفهم نفس الشيء من كلمتَي: "مولود" و"مخلوق". دعهم إذن يعترفون به بأنه مولود begotten من الآب ومولود born من العذراء، أو فليقولوا لنا كيف أن ابن الله يمكن أن يكون مولوداً ومخلوقاً معاً؟ إن الطبيعة الواحدة التي هي فوق الكل، أي الكائن الإلهي، لا تقبل أي صراع أو تناقض (في داخلها).

١٠٣ ـ على أي حال، فلندع جانباً رأينا الخاص، ولنسأل بولس هذا الإنسان المملوء بروح الله، والذي إذ قد سبق فرأي هذه التساؤلات فإنه حكم ضد الوثنيين عامة وعلى الآريوسيين خاصة قائلاً إن الذين يعبدون المخلوق دون الخالق هم مُدانون بحسب قضاء الله. ويمكنك في الواقع أن تقرأ: " لذلك أسلمهم الله أيضا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم الواحد مع الآخر، هؤلاء الذين استبدلوا حق الله بالكذب، وعبدوا وخدموا المخلوق دون الخالق، الذي هو الله المبارك إلى الأبد" (انظر رو١: ٢٤،٢٥).

١٠٤ ـ إن بولس يمنعني أن أعبد مخلوقاً، ويحثني على عمل واجبي، بأن أعبد المسيح. يتبع ذلك أن المسيح ليس كائناً مخلوقاً. إن الرسول يدعو نفسه: " بولس عبد ليسوع المسيح" (رو١: ١)، وهذا العبد الصالح الذي يعترف بإلهه، يريدنا بالمثل ألاّ نعبد ما هو مخلوق. كيف إذن يتأتَّى أن يكون الرسول نفسه عبداً للمسيح لو كان بولس يعتقد أن المسيح شخص مخلوق؟ دع هؤلاء الهراطقة يكفُّون عن أن يعبدوه، هذا الذي يدعونه "كائناً مخلوقاً" أو يسمونه مخلوقاً هذا الذي يتظاهرون أنهم يعبدونه، لئلا تحت شكل أنهم عابدون فإنهم يسقطون في عبادة رديئة، لأن ما يظهر للعيان أنه قريب هو أردأ من العدو الغريب. وكون هؤلاء القوم يستخدمون اسم المسيح لإهانة المسيح، فإن هذا يزيد إثمهم.

١٠٥ ـ أيُّ شارح للكتب المقدسة سنجده أفضل من رسول الأمم، ذاك الإناء المختار، والمختار من ضمن كثير من المضطهدين؟ إن ذاك الذي كان يضطهد المسيح صار يعترف به، إنه على أي حال قرأ سليمان أكثر مما فعل آريوس، وكان

متعلماً حسناً في الناموس، ولذلك فهو لم يقل إن المسيح كان مخلوقاً، بل إنه كان مولوداً. إنه قرأ: " لأنه قال فكان ، وأمر فخُلِقت"[١]. وأنا أسأل: " هل المسيح صُنِع بكلمة؟ خُلِق بأمر؟".

١٠٦ ـ وبالإضافة إلى ذلك، كيف يمكن أن توجد طبيعة مخلوقة داخل الله؟ وفي الحقيقة فإن طبيعة الله ليست مُركَّبة، ولا يمكن أن يُضاف إليه شيء، وهو لا يحوي في طبيعته سوى ما هو إلهي فقط، يملأ كل الأشياء[٢]، دون أن يختلط بأي شيء. هو يتخلل كل الأشياء، ولكن لا يتخلله شيء أبداً. موجود بكل ملئه في نفس اللحظة، في السماء وعلى الأرض وفي عمق أعماق البحر[٣]. هو غير مرئي للعيون ولا يُعبَّر عنه بالنطق، ولا يُقاس بالإحساس، ولكن يُقتفى أثره بالإيمان، ويُعبد بالورع، حتى إنه مهما كان هناك من ألقاب تفوق في عمقها كل ما عُرف في الإدراك الروحي، من حيث المجد والكرامة وعظمة القوة، فهذا عليك أن تعرف أنه يخص الله بحق.

١٠٧ ـ حيث إن الآب قد سُرَّ بالابن، فآمن أن الابن جدير بالآب، وأنه خرج من الآب كما يشهد هو لنفسه قائلاً: " لأني خرجت من قِبل الله وأتيت" (يو٨:٤٢)، وأيضاً " من عند الله خرجت" (يو١٦:٢٧). فالذي خرج من الله، أيمكن أن تكون له صفات سوى صفات الله ؟!

١٠٨ ـ فمن ثمَّ فإن المسيح لا يكون إلهاً فقط، ولكن هو الله نفسه حقيقة، هو إله حق من إله حق، إذ أنه هو الحق[١]. وإن سألنا عن اسمه، فإن "الحق" هو اسمه. وإن بحثنا لنعرف مرتبته الطبيعية ومنزلته، فهو بالحق تماماً ابن الله الحقيقي، لأنه في الحقيقة ابن الله الخاص كما هو مكتوب: " الذي لم يُشفق على ابنه (الخاص) بل بذلك لأجلنا أجمعين" (رو٨:٣٢). وعندما يقول "بذله" فإنه يتحدث عن الجسد، أما أن يكون ابن الله الخاص، فهذا يُعلن ألوهيته؛ وإذ هو إله حقيقي فهذا يُبيّن أنه ابن الله الذاتي؛ أما مذلته فهي بسبب خضوعه وهو في الجسد، وبسبب ذبيحته، وهي بداية طريق خلاصنا.

١٠٩ ـ ومع ذلك، فلئلا يُحرِّف البعض الكتب المقدسة بسبب العبارة: " الله بذله "، فإن الرسول نفسه يقول في مكان آخر: " سلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا" (غلا١:٣و٤)، وأيضاً: " كما أحبنا المسيح أيضاً وبذل نفسه لأجلنا" (أف٥:٢). فإن كان الآب قد بذله، وأيضاً هو بذل نفسه من تلقاء نفسه، فمن البيِّن إذن أن إرادة وعمل الآب والابن هما واحد.

١١٠ ـ فإن كنا نسأل عن تفوقه الطبيعي، فإننا نجد أن سبب ذلك هو كونه مولود، أمّا إن كنت تفكر أن ابن الله مولود (من الله) فهذا معناه أنك تفكر أنه ابن الله الذاتي؛ وكذلك أن تُنكر أن المسيح هو ابن الله الذاتي، فهذا معناه أنك تُصنِّفه مع

سائر البشر ولا يكون بعد ابناً مختلفاً عن الآخرين. أمَّا إن كنا نسأل عن خاصية ميلاده المُتميزة فهي هكذا: إنه خرج من الله. لأنه بينما نعرف من خبرتنا أن كلمة يخرج تتضمن أيضاً شيئاً موجوداً من قبل، والشيء الذي يُقال عنه إنه يخرج يظهر لنا أنه ينتقل من أماكن داخلية ومستترة، فنحن مع أننا قدَّمنا الموضوع في عبارات موجزة، إلاّ أنه علينا أن نلاحظ الخاصية المميزة للميلاد الإلهي، كون الابن لا يظهر أنه يخرج من مكان، ولكنه يخرج كإله من إله، أي كابن من أبيه، كما أنه ليست له بداية زمنية، ولكنه خرج من الآب بالميلاد. أمّا عن كونه هو نفسه مولوداً، فإنه يقول: " إني خرجت من فم العلي" (يشوع بن سيراخ٢٤:٣).

١١١ ـ ولكن إن كان الآريوسيون لا يعترفون بطبيعة الابن، وإن كانوا لا يؤمنون بالكتب المقدسة، دعهم على الأقل يؤمنون بالأعمال المقتدرة. ونحن نسأل لمن يقول الآب: " نعمل الإنسان" (تك١:٢٦) إلاّ لمن يعرف أنه ابنه الحقيقي؟ وهل يمكن للآب أن يرى صورته إلا في هذا الواحد الحقيقي؟ إن الابن المتبنَّي ليس مثل الابن الحقيقي، وإلاّ ما كان يمكن للابن أن يقول: " أنا والآب واحد" [٢] إن كان يقيس نفسه بمن هو حقيقي بينما هو نفسه غير حقيقي. لذلك فإن الآب يقول: " نعمل الإنسان". إن الذي يتكلم هو صادق، فهل يمكن أن الذي يعمل (معه) لا يكون صادقاً؟ هل يمكن للكرامة التي تُقدم لذاك الذي يتكلم أن تُحجز عن الذي يعمل؟

١١٢ ـ كيف يمكن للآب إن لم يكن يعرف أنه ابنه الحقيقي أن يستودعه إرادته للتعاون الكامل. وأن يستودعه أعماله ليخلق الأشياء بالفعل؟ وإذ نرى أن الابن يعمل الأعمال التي يعملها الآب، وأن الابن يُحيي من يشاء[٣] كما هو مكتوب، فمن ثمَّ فهو مساوٍ في القوة وحر في إرادته، وهكذا تتأكد الوحدانية بينهما، نظراً لأن قوة الله تكمن في أن جوهر الألوهة هو خاص بكل أقنوم، والحرية لا تعني أي اختلاف، ولكنها تكمن في وحدة المشيئة.

١١٣ ـ والرسل عندما تقاذفتهم العواصف وهم في البحر، حالما رأوا المياه تقفز حول أقدام سيدهم وهم ينظرون خطواته الشجاعة غير الخائفة على الماء وهو يسير وسط أمواج البحر الثائرة، وعندما رأوا السفينة التي كانت تضربها الأمواج، وقد هدأت حالما دخلها المسيح، وأيضاً لما رأوا الأمواج والريح يطيعانه، فمع أنهم لم يكونوا قد آمنوا بعد، فقد آمنوا أنه هو ابن الله الحقيقي وقالوا: " حقاً أنت ابن الله" [٤].

١١٤ ـ وبالمثل فإن نفس الأمر نجده عندما اعترف قائد المائة والآخرون الذين كانوا معه لمّا عاينوا اهتزاز أساسات المسكونة وقت آلام الرب، وهذا تنكره أنت أيها الهرطوقي! قال قائد المائة: " حقاً كان هذا ابن الله" (مت ٢٧:٥٤)، إنه قال: "كان" والآريوسيون يقولون: "لم يكن!"، لذلك فإن قائد المائة وبأيدي مصبوغة بالدم، ولكن بذهن ورع مخلص يفصح عن حقيقة وأزلية ميلاد المسيح كليهما،

وأنت أيها الهرطوقي تُنكر حقيقة هذا الميلاد وتجعله زمنياً! هل لطخت يداك أكثر من نفسك! ولكنك أنت غير الطاهر حتى في يديك، والقاتل عمداً، تطلب موت المسيح الذي تترصده إذ أراك تفكر فيه كوضيع وضعيف، كلاً، فهذه خطية رديئة، لأنه ولو أن جوهر الألوهة غير متألم، إلاّ أنك تعمل باجتهاد لتذبح المسيح، ليس جسده ولكن مجده.

١١٥ ـ لا يمكننا إذن أن نشك بأن الابن هو إله حق حيث إن ألوهته الحقة يؤمن بها حتى القتلة، والأرواح الشريرة كذلك تعترف بها. إننا لا نحتاج الآن إلى شهادتهم، ولكنها مع ذلك هي أعظم من تجاديفك. إننا استدعيناهم للشهادة لنجعلك تستحي، هذا بالإضافة إلى أننا نقتبس مما هو مكتوب في الوحي الإلهي بقصد أن نقودك إلى الإيمان.

١١٦ ـ يُعلن الرب بفم إشعياء: " وأطلب في فم الذين يخدمونني اسماً جديداً، الذي يبارك في كل الأرض، وسوف يباركون الإله الحق، والذين يحلفون بالإله الحق" (إش٦٥:١٦س). إنني أقول إن إشعياء نطق بهذه الكلمات عندما رأي مجد الرب، وقد قيل بوضوح في الإنجيل إنه رأي مجد المسيح وتكلم عنه[٥].

١١٧ ـ اسمع أيضاً ما كتبه يوحنا البشير في رسالته قائلاً: " ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١يو٥:٢٠). يوحنا يسميه ابن الله الحقيقي والإله الحق، فإن كان هو الإله الحق، فبالتأكيد يكون غير مخلوق، بلا وصمة كذب أو خداع، وليس فيه اختلاط ولا عدم تماثل مع أبيه.

١١٨ ـ إذن، فالمسيح هو: " إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق؛ مولود من الآب غير مخلوق؛ له جوهر واحد مع الآب".

١١٩ ـ لذلك حقاً، إذ قد اتبع آباؤنا إرشاد الكتب المقدسة، فإنهم أعلنوا ـ بل أكثر من ذلك ـ تمسكوا، بأن مِن واجبهم أن يذكروا تلك التعاليم المُضادة للتقوى (التي للآريوسيين) في سجل قوانينهم، حتى يُكشف كفر آريوس، ولا يظهر متنكراً ـ كما لو أنه ـ يتستر بصبغة أو دهان للوجه[١]، لأن الآريوسيين يعطون لوناً مزيفاً لأفكارهم التي لا يجرؤون أن يظهروها صراحة. وبحسب ما هو متّبع في سجلات المكتوبات، فإن الهرطقة الآريوسية لا يُكشف عنها بالاسم[٢]، ولكن الإدانات الصريحة الموجهة لها تجعلها ظاهرة، حتى يمكن لمن هو مدقق ومتلهف على أن يسمع عنها، أن يُحفظ من السقوط، عندما يعرف أنه قد تمَّ مسبقاً الحكم عليها وإدانتها، من قبل أن يسمع عنها، وتكون نتيجة ذلك هي أن يؤمن (بالإيمان المستقيم).

١٢٠ ـ ويستطرد القانون قائلاً: " أولئك الذين يدَّعون إنه يوجد زمن لم يكن فيه ابن الله موجوداً، وإنه لم يكن موجوداً من قبل ميلاده، أو إنه خُلق من العدم، أو إنه من جوهر أو طبيعة أخرى، أو إنه قابل للتغيير، أو إنه يوجد فيه أي ظلّ دوران، فأولئك تُعلن الكنيسة الجامعة الرسولية أنهم محرومون.

١٢١ ـ لقد وافقتَ يا صاحب الجلالة على أن من ينطق بمثل هذه التعاليم المنحرفة يُدان عن صواب. إنه لم يكن قراراً بشرياً أو من مشورة بشرية أن يتقابل في مجمع مسكوني ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً كما بيَّنت بالتفصيل والاستفاضة من قبل[٣]، كما أن عددهم هذا يبرهن على أن الرب يسوع بواسطة علامة اسمه وآلامه كان في وسط خاصته، الذين اجتمعوا باسمه[٤]، لأن من خلال الرقم ثلاثمائة تتضح علامة الصليب، ومن خلال الرقم ثمانية عشر كانت علامة اسم يسوع[٥].

١٢٢ ـ كان هذا أيضاً هو الإقرار الأول للإيمان، في مجمع أرمينيوم وكذلك في التعديل الثاني بعد هذا المجمع. وبخصوص الإقرار، فإن الخطاب المُرسل إلى الإمبراطور قنسطانطين يشهد بذلك، والمجمع الذي تلاه يوضح التصحيح[٦].

١٢٣ ـ يقول آريوس: " كان هناك زمن لم يكن فيه ابن الله موجوداً"، ولكن الكُتب المقدسة تقول: "كان"، ولا تقول: " لم يكن". وعلاوة على ذلك. فإن القديس يوحنا كَتَب: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء مع الله" (يو١: ١-٢). لاحظ كم مرة يظهر الفعل "كان"، بينما لم يوجد أي مكان يُذكر فيه "لم يكن". مَن مِنْ الاثنين إذن يجب علينا أن نصدِّقه؟ القديس يوحنا الذي كان يتكئ في حضن المسيح، أم آريوس الذي غاص متمرغاً وسط أحشائه المنسكبة؟ إن تمرُّغه يجعلنا نفهم كيف أظهر آريوس نفسه ـ بتعاليمه ـ أنه كان مشابهاً ليهوذا، إذ عاقبه الله بعقاب مشابه.

١٢٤ ـ إن أحشاء آريوس انسكبت أيضاً خارجاً، والحياء يمنعنا أن نذكر أين حدث هذا، وهكذا فإنه انفجر مشطوراً في الوسط، وسقط منطرحاً على وجهه، وتلوثت تلك الشفاه الشريرة التي أنكر بها المسيح. لقد انشق تماماً كما قال القديس بطرس عن يهوذا، " لأنه اقتني حقلاً من أجرة الظلم وفِعل الشر، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها"[١]. لم يحدث هذا الموت مصادفة، لأنه قد عوقب مثل هذا الشر بعقاب مُشابه، بهدف أن أولئك الذين ينكرون ويخونون نفس الرب سوف ينالون نفس العذاب.

١٢٥ ـ دعنا الآن ننتقل إلى نقاط أخرى. يقول آريوس: " إن ابن الله لم يكن موجوداً قبل أن يُولد"، ولكن الكتب المقدسة تقول إن كل الأشياء إنما تقوم في الوجود[٢] (أي خُلِقت) عن طريق الابن، فكيف يمكن إذن لهذا الذي لم يكن موجوداً أن يمنح الوجود لغيره؟ ومرة أخرى نقول إن المجدِّف عندما يستخدم الكلمات:

"عندما" و "قبل"، فهو بالتأكيد يستخدم كلمات تشير إلى الزمن. كيف يقول الآريوسيون إن الزمن كان موجوداً قبل الابن، وهناك أشياء مخلوقة في الزمن أي أنها بذلك تكون موجودة قبل الابن، بينما نعرف من الكتب المقدسة أن كل الأشياء قد خُلِقت عن طريق الابن؟

١٢٦ ـ يقول آريوس إن ابن الله جاء للوجود من لا شيء، فكيف يكون إذن هو ابن الله، كيف وُلد من داخل الآب، كيف نقرأ عنه أنه الكلمة الذي خرج من عند الآب كفيض[٣] صادر من صميم طبيعته، إلاّ إذا أقررنا بأنه يجب أن نؤمن أنه خرج ـ كما هو مكتوب ـ من عمق أعماق أقداس الآب الذي لا يُدنى منه؟ أن يُدعى شخص ما ابناً، فهذا يكون إما بسبب التبني أو بسبب الطبيعة. فنحن نُسمَّى أبناء (لله) بالتبني[٤]. أما المسيح فهو ابن الله بمقتضى طبيعته الحقيقية الأزلية والدائمة. فكيف يمكن إذن لهذا الذي خلق كل الأشياء من العدم أن يكون هو نفسه مخلوقاً من العدم؟

١٢٧ ـ إن مَن لا يعرف ما هو مصدر الابن ليس له الابن، لذلك فإن اليهود ليس لهم الابن؛ لأنهم لم يعرفوا من أين هو، لذلك فإن الرب قال لهم: " أنتم لا تعلمون من أين آتى"[٥]، وأيضاً قال: " لستم تعرفونني أنا ولا أبى" (يو٨:١٩)، لأن الذي ينكر أن الابن من الآب لا يعرف الآب الذي منه (جاء) الابن، وأيضاً لا يعرف الابن لأنه لا يعرف الآب[٦].

١٢٨ ـ يقول آريوس: [إن الابن من طبيعة أخرى]، ولكن أي طبيعة أخرى يمكن أن تُرفع إلى درجة المساواة مع ابن الله ـ والتي بمقتضاها يصير هو ابن الله؟! وبأي حق يلومنا الآريوسيون عندما نتكلم باليونانية عن جوهر الله بكلمة oÙs...a أو عندما نُعبِّر باللاتينية بكلمة substantia عن جوهره، إن كانوا هم أنفسهم بقولهم إن ابن الله هو من "جوهر" آخر إنما يؤكدون وجود "جوهر" إلهي.

١٢٩ ـ ومع أنهم يرغبون في المجادلة بخصوص استخدام الكلمات: "جوهر إلهي" أو "طبيعة إلهية"، فإنهم سوف يُدحَضون بسهولة، لأن الكتابات المقدسة القديمة إنما قد تكلَّمت عن الجوهر oÙs...a باليونانية وعن الطبيعة substantia باللاتينية. فنحن نقرأ أن القديس بطرس يقول إننا شركاء في الطبيعة الإلهية. أما إن قالوا إن الابن هو من طبيعة أخرى، فإنهم بشفاههم يردُّون على أنفسهم، لأنهم بينما يعترفون بالتعبير "طبيعة"، إلاّ أنهم يخافون منه، وهم يضعون الابن في مستوى الخلائق التي يدّعون بأنهم يرفعون الابن إلى مستوى أعلى منها.

١٣٠ ـ إن آريوس يدعو الابن مخلوقاً، ولكن [ليس مثل باقى المخلوقات]، ولكن في أي شيء لا تختلف المخلوقات عن بعضها؟ فالإنسان ليس ملاكاً، ولا الأرض سماء، والشمس ليست مثل الماء، ولا النور مثل الظلام (ولكنها كلها مخلوقة) ومن ثم فإن تمييز آريوس للابن إنما هو عقيم، لأنه إنما يكون كمَن أخفى ـ بصبغة حقيرة كئيبة ـ تجاديفه الغاشة والخادعة ليصطاد البسطاء.

١٣١ ـ يُصرّح آريوس بأن ابن الله يمكنه أن يتغير وينحرف، فكيف يمكن له أن يكون إلهاً إن كان هو متغيراً، ونحن نراه يقول: " أنا الكائن، أنا الكائن، لا أتغير"[٧]؟.

١٣٢ ـ إنني أحتاج أن أعترف باعتراف النبي إشعياء الذي قاله قبل أن يجاهر بكلمة الرب: " ويل لي، قد ضُرب قلبي، لأنه وبينما أنا إنسان نجس الشفتين وساكن بين شعب نجس الشفتين، فإنني قد رأيت الملك رب الصباؤوت" (إش٦:٥). فإن كان إشعياء قال " ويلٌ لي" عندما رأى رب الصباؤوت، فماذا أقول أنا عن نفسي، وأنا: " إنسان نجس الشفتين، كُلِّفت لأبحث موضوع الميلاد الإلهي؟ كيف يحلُّ لي أن أتكلم عن أشياء أنا متخوف منها، في حين أن داود يُصلّي ليضع الله حارساً على فمه بخصوص أمور هو يعرفها[١]. ليت واحداً من السيرافيم يأتيني بالجمرة المشتعلة من على المذبح السماوي ويضعها في مِلقطي العهدين (القديم والجديد). ومن النار الخارجة منها يطهر شفتيّ النجستين!

١٣٣ ـ ولكن بينما هبط أحد السيرافيم آنئذ إلى النبي في رؤية، فإنك أيها الرب، في إعلان السر أتيت إلينا في الجسد[٢]، فأنت بلا وسيط ولا عن طريق أي رسول، أنت بذاتك طهِّر ضميري من خطاياي الخفية، حتى أنا أيضاً الذي كنت قبلاً نجساً، أصير برحمتك طاهراً بالإيمان، وأرنم بكلمات داود: " أرنم لك بالعود يا قدوس إسرائيل، تبتهج شفتاي إذ أرنم لك ونفسي التي فديتها" (مز٧١:٢٢و٢٣).

١٣٤ ـ وهكذا أيها الرب فلتترك أولئك الذين يفترون عليك ويكرهونك، ولتأتِ إلينا، مُطهراً أذني حاكمنا الملك جراتيان وجميع من معه، الذين سوف يصل هذا الكتاب إليهم ليكون بين أيديهم، وطهّر أذنيَّ حتى لا تبقى فيها أي وصمة من وصمات الكفر التي سمعتها أذناي. طهر إذن بالتمام آذاننا، لا بماء الينبوع أو البحر أو بواسطة جداول تخر وتتموج (مياهها)، وإنما بالكلمات المطهرة كالماء، والتي هي أكثر صفاءً من أي مياه، وأنقى من أي ثلج، كما تقول الكلمات التي نطقتَ بها: " إن كانت خطاياكم كالقرمز أجعلها تبيض كالثلج" (إش١:١٨).

١٣٥ ـ وعلاوة على ذلك، فإنه يوجد كأس مملوء من خمر عجيب، ذاك الذي تستخدمه لتطهير مخادع النفس الداخلية، كأس ليس هو من النظام العتيق[٣]، ولا هو ممتلئ من عصير كرم عادي، وإنما كأس هبط إلينا من السماء إلى الأرض[٤]،

وهو ممتلئ من خمر عصير العنقود المُعلق بشكل بشري على خشبة الصليب، مثل العنب المُعلّق في الكرمة. من هذا العنقود يكون الخمر الذي يفرّح قلب الإنسان[٥]، والذي يرفع الحزين، والذي أريجه يسكب فينا نشوة الإيمان، والعبادة والتقوى الحقيقية والنقاء.

١٣٦ ـ ولذلك، فبهذا الخمر أيها الرب إلهي، طهّر تماماً الآذان الروحية لملكنا الإمبراطور، وكما أن الإنسان عندما ينتشي بالخمر العادي، فإنه يحب الراحة والهدوء، ويلقي عنه خوف الموت ولا يشعر بالأذي، ولا يبحث فيما يخص الآخرين بل ينسى ما لهم، هكذا هو أيضاً أعطِه أن يسكر بخمرك؛ فيحب السلام، وإذ هو مؤتمن على رفعة الإيمان، لا يناله موت الكفرة غير المؤمنين، ولينشر الصبر المملوء محبة، ولا يشترك في تجاديف الناس الآخرين، بل يتمسك بالإيمان أكثر من تمسكه بالأسرة والأشقاء والأولاد، كما هو مكتوب: " اترك كل ما لك واتبعني"[٦].

١٣٧ ـ بهذا الخمر، أيها الرب يسوع، طهر أيضاً حواسنا، لكي نمجدك ونعبدك أنت خالق كل الأشياء المنظورة وغير المنظورة. أنت دائماً بالحق غير منظور وأنت دائماً صالح، أنت الذي أعطيت خلائقك أن تكون غير منظورة وصالحة[٧].

الكتاب الثانى

١ ـ كما أظن يا جلالة الإمبراطور، فقد قلت ما يكفي في الكتاب السابق لأوضح أن ابن الله كائن أزلي وغير مختلف عن الآب، مولود غير مخلوق: كما برهنّا من خلال الاقتباسات من الكتب المقدسة أن ابن الله الحقيقي هو الله، وهذا قد أُعلِن أنه هكذا بواسطة العلامات الواضحة الخاصة بجلاله.

٢ ـ ورغم أن ما سبق تقديمه هو كثير بل ويزيد، وذلك لأجل الحفاظ على الإيمان، إذ نرى أن عظمة النهر يُحكم عليها غالبًا من الطريقة التي ترتفع وتفيض بها ينابيعه. ومع ذلك، فلكي يكون إيماننا أكثر وضوحًا، فإن مياه ينبوعنا يجب ـ كما أظن ـ أن تُقسَّم إلى ثلاث قنوات، ولذلك فإنه يوجد:
أولاً: علامات واضحة تبيّن التلازم الجوهري في الألوهة؛
ثانيًا: التعبيرات الدالة على التماثل بين الآب والابن،
وأخيرًا: تلك التعبيرات الدالة على وحدة الجلال الإلهي التي لا يُشك فيها.
بخصوص النوع الأول لدينا الأسماء: "ولادة"، "الله"، "ابن"، "الكلمة"[١]؛
وبخصوص النوع الثاني لدينا: "بهاء"، "رسم"، "مرآة"، "صورة"[٢]؛
وبخصوص النوع الثالث لدينا: "حكمة"، "قوة"، "حق"، "حياة"[٣].

٣ ـ هذه الدلائل تعلن هكذا طبيعة الابن، حتى من خلالها يمكنك أن تعرف أن الآب أزلي وأن الابن غير مختلف عنه؛ لأن مصدر الولادة هو الكائن الذي يكون[٤]؛ وكمولود من الأزلي فإنه إله؛ وكصادر من الآب، فهو الابن[٥]؛ ولأنه من الله فهو الكلمة؛ هو شعاع مجد الآب، رسم جوهره[٦]، مثيل الله، صورة عظمته؛ جود الذي هو الجوّاد، حكمة الذي هو الحكيم، قوة القدير، حق الذي هو الحقيقي[٧]، حياة الذي هو الحي[٨]. لذلك فالصفات المميزة للآب والابن ترتبط معًا باتفاق، حتى لا يفترض أحد وجود أي اختلاف، أو أن يشك في أن لهما عظمة واحدة. ولكل من هذه الأسماء ولجميعها سوف نعطي أمثلة لاستخدامها، حتى نجعل حديثنا مؤكدًا بدلائل.

٤ ـ ومن الاثني عشر هذه، التي هي كاثني عشر جوهرًا كريمًا يُبني عمود إيماننا، لأن هذه الأحجار الكريمة ـ الجزع العقيقي، اليشب، الزمرد، الزبرجد، والبقية منسوجة في رداء هارون المقدس[٩]، الذي هو مثال للمسيح[١٠] الكاهن الحقيقي؛ حجارة ممتزجة بالذهب، ومنقوشة بأسماء أبناء إسرائيل، اثنى عشر حجرًا متصلة معًا موضوعة الواحد داخل الآخر، حتى إن شَطَرَها أو فصَلَها أحد، فإن نسيج الإيمان كله يتهاوى محطمًا.

٥ ـ هذا إذن هو أساس إيماننا، أن نعرف أن ابن الله مولود؛ لأنه إن لم يكن مولودًا فلا يكون ابنًا. ولا يكفي أن ندعوه ابنًا إن لم تميّزه باعتباره الابن الوحيد الجنس. فلو كان مخلوقًا فلا يكون إلهًا، ولو لم يكن إلهًا، لما كان هو الحياة، وإن لم يكن هو الحياة فلا يكون هو الحق.

٦ ـ فالعلامات الثلاث الأولى، أعني الأسماء: "الولادة"، "ابن"، "الابن الوحيد الجنس"، تُظهر أن الابن هو أصلاً من الله، بسبب أنه من نفس طبيعته.

٧ ـ أمّا الثلاثة التي تليها أي الأسماء: "إله"، "حياة"، "حق"، فهي تُعلن قوته التي بها وضع أساسات العالم المخلوق وهو ضابطه. وكما يقول القديس بولس: " الذي به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧:٢٨)؛ ولذلك فالثلاثة الأولى تُعبِّر عن "حق الابن الطبيعي"، وفي الثلاثة الثانية الأخرى، فإن وحدة العمل القائمة بين الآب والابن تصير ظاهرة.

٨ ـ ابن الله يُسمّى أيضًا: "صورة" و"بهاء" و"تعبير" (التي تُعبِّر عن الله)، لأن هذه الأسماء قد كشفت عن عظمة الآب التي لا تُدرك ولا تُستقصى، التي في الابن، وكشفت عن التعبير عن مثاله في الابن. هذه الأسماء الثلاثة كما رأينا تشير إلى مماثلة الابن للآب[١١].

٩ ـ كما يوجد لدينا أيضًا أفعال القوة والحكمة والحق التي يمكن بها البرهنة على أزلية الابن.

١٠ ـ هذا إذن هو الرداء المُزين بالحجارة الكريمة؛ هذا الذي يُعبِّر عن حب الكاهن الحقيقي؛ هذا هو رداء العُرس، هنا النسَّاج المُلهم الذي عرف جيدًا كيف ينسج هذا العمل. إنه ليس عمل نسيج عادي، والذي عنه تكلم الرب بواسطة نبيه: " من ذا الذي أعطى النساء مهارة في النسيج"[١٢]. أقول مرة أخرى، تلك الحجارة الموجودة ليست حجارة عادية، والتي نجدها تُسمّى "للترصيع"[١٣] لأن كل الكمال يعتمد على شرط عدم وجود شئ ناقص. إنها حجارة مرتبطة معًا ومُحاطة بالذهب، أي أنها من نوع روحاني، ربطها يكون بواسطة أذهاننا، وهي مُحاطة بالبرهان المُقنع. وفي الختام (أقول) إن الكتاب المقدس يُعلّمنا أن هذه الحجارة هي غير عادية، نظرًا لأن البعض يُحضرون صنفًا، وآخرون صنفًا آخر أقل قيمة، هذه التي أحضرها الأمراء الورعون، مرتدين إياها على أكتافهم، وصنعوا منها "درع الحق"، أي جزءً من العمل المنسوج. فالآن يصير لدينا عمل منسوج، عندما يسير الإيمان والعمل معًا.

١١ ـ أرجو ألاّ يفترض أحد أنني أخطأت عندما رَّتبتُ في الأول تقسيمًا ذا ثلاث جوانب، وكل جزء يحوي أربعة، ثم بعد ذلك تقسيمًا رباعيًا، كل واحد له ثلاثة تعبيرات. إن جمال الشيء الصالح يصير أكثر إبهاجًا عندما يُعرض بأوجه مختلفة. إن تلك الأشياء التي نُسج الرداء الكهنوتي كعلامة لها هي أشياء حسنة، أي الناموس أو الكنيسة، التي صنعت فيما بعد ثوبين لعريسها ـ كما هو مكتوب[١٤] ـ الواحد ثوب العمل والثاني ثوب الروح، وهي تنسج خيوط الإيمان والعمل معًا، لذلك، فكما تقرأ[١٥]، فإنها تصنع في مكان واحد قاعدة من ذهب، وبعد ذلك تنسج عليها أزرق وأرجوانًا مع قرمزي وأبيض. وأيضًا ـ كما تقرأ في موضع آخر ـ فإنها تصنع أولاً أزهارًا صغيرة من أزرق وألوان أخرى، وتضم فيها الذهب، وهناك تنسج ثوبًا كهنوتيًا واحدًا بهدف أن الحلية المتنوعة من النعمة والجمال، والمصنوعة من نفس الألوان الزاهية تضفي جمالاً جديدًا بتنوع الترتيب.

١٢ ـ وعلاوة على ذلك (لكي نكمل تفسيرنا لهذه الأمثلة)، فمن المؤكد أن الذهب المصفي والفضة يدلان على أقوال الرب التي منها يستمد إيماننا ثباته: " كلام الرب كلام نقي، فضة محمّاة مجربة في الأرض، قد صُفيت سبعة أضعاف" (مز١٢:٦و٧س). اللون الأزرق مثل الهواء الذي نتنفسه ونستنشقه داخلنا؛ والأرجواني يمثل أيضًا ظهور المياه، والقرمزي يشير إلى النار، والكتان الأبيض يشير إلى الأرض لأن أصله من الأرض[١٦]، ومن هذه العناصر الأربعة يتكون الجسم الإنساني[١٧].

١٣ ـ وسواء إذا كنت تربط الإيمان الموجود أصلاً في الروح بالأعمال الجسدية التي تنسجم معها، أو أن تأتي الأعمال أولاً والإيمان يتصل بها كرفيق يُقدمها إلى الله ـ هنا يكون رداء خادم الدين، هنا الثوب الكهنوتي.

١٤ ـ لذلك فإن الإيمان ينفع إن كانت حافته لامعة بتاج جميل من الأعمال الصالحة[١٨]. هذا الإيمان ـ لأقتضب في الأمر ـ هو موجود في الأساسات التالية، والتي لا يمكن إغفالها. إن كان أصل الابن من لا شئ فهو ليس ابنًا؛ وإن كان مخلوقًا فهو ليس الخالق؛ وإن كان مصنوعًا فهو لم يصنع كل الأشياء، وإن كان في احتياج إلى أن يتعلّم فليس له سبق المعرفة، وإن كان يحتاج أن ينال فهو ليس كاملاً؛ وإن كان يرتقى (إلى العلا) فهو ليس إلهًا. إن لم يكن مثل الآب فهو ليس صورته؛ وإن كان ابنًا بالنعمة فهو ليس ابنًا بالطبيعة[١٩]؛ وإن لم يكن له الألوهة بالطبيعة، فسوف يوجد فيه الاحتمال أن يخطئ، لأنه " ليس أحد صالحًا إلاّ الله"[٢٠].

١٥ ـ الاعتراض الذي ينبغي أن أواجهه الآن يا جلالة الإمبراطور ـ يملأني بالذهول، حتى إن روحي وجسدي يقشعران عند التفكير بأنه يوجد بشر، بل بالأحرى ليسوا بشرًا، وإنما كائنات لها المظهر الخارجي للبشر، ولكن ممتلئة داخليًا بغباء وحشي، حتى، بعد أن تنال من يدي الرب إحسانات هذا عددها وهذه عظمتها، فإنها تقول إن خالق كل الأشياء الصالحة، هو نفسه ليس صالحًا.

١٦ ـ هم يقولون إنه مكتوب: " ليس أحد صالحًا إلاّ واحد وهو الله". إنني أقر بما يقوله الكتاب المقدس ولكن لا يوجد خطأ في المكتوب، بل الخطأ هو في شرح الآريوسيين. إن الحروف المكتوبة لا لوم فيها، ولكن ما يُلام هو المعنى الذي يعطيه لها الآريوسيون. إنني أعترف بأن هذه الكلمات هي كلمات ربنا ومخلصنا ولكن علينا أن نفكر جيدًا متى قيلت، ولمن قيلت، وما هو قصده من هذا الكلام.

١٧ ـ إن ابن الله يتكلم هنا بالتأكيد كإنسان، وهو يتكلم مع أحد الكتبة، وهو الذي يخاطب ابن الله بقوله " أيها المعلم الصالح"، ولكنه لا يعترف به أنه إله، لذلك فما لا يؤمن به هذا الكاتب، يعطيه المسيح أن يفهمه، وقصده من هذا أن يقوده ليؤمن بابن الله ليس "كمعلم صالح"، ولكن "كالإله الصالح". وإن كان عندما يسمّى " الإله الواحد" في أي مكان، فإن ابن الله لا ينفصل أبدًا عن ملء هذه الوحدانية، فكيف حينما يُقال إن الله وحده صالح يمكن أن يُستبعد الابن الوحيد عن ملء الصلاح الإلهي؟ على الآريوسيين إذًا إمّا أن يعترفوا أن ابن الله هو إله، أو أن ينكروا بأن الله صالح.

١٨ ـ لذلك، فإن ربنا ـ بفهم إلهي مُلهم ـ لا يقول: " ليس أحد صالحًا إلاّ الآب وحده"، وإنما يقول: " ليس أحد صالح إلاّ واحد وهو الله ". إن "الآب" هو الاسم الحقيقي لمن يلد. ولكن وحدانية الله لا تستبعد بأي حال ألوهة الثلاثة أشخاص، ولذلك فإن طبيعة الله هي التي تُمجد. فالصلاح إذن هو خاص بطبيعة الله. ومرة

أخرى، فإن ابن الله موجود في طبيعة الله، والآية التي يستند إليها الآريوسيون ويسيئون تفسيرها، تخص ليس أحد الأقانيم، بل تخص الوحدة الكاملة للألوهة[١].

١٩ ـ فالرب إذن لا ينكر أنه صالح، ولكنه يوبخ مثل هذا النوع من السائلين، لأن الكاتب عندما قال: " أيها المعلم الصالح"، فإن الرب أجابه:" لماذا تدعوني صالحًا؟" أي أنه يعنى بذلك: " إنه ليس كافيًا أن يدعوه صالحًا إن كان لا يؤمن به أنه إله ". إنني لا أريد أن يكون تلاميذي من مثل هذا النوع، أشخاصًا يفكرون ـ فقط ـ في طبيعتي البشرية، ويحسبونني مجرد معلم صالح، دون أن ينظروا إلى ألوهيتي ويؤمنوا بي إنني الإله الصالح.

٢٠ ـ ومهما كان، فإنني سوف لا أعتمد على موضوع (ألوهة) الابن من مجرد امتياز طبيعته واستحقاقاته الخاصة بجلاله. دعنا لا نسميه صالحاً إن كان هو غير جدير بهذا اللقب، وإن كان لا يستحق ذلك بسبب الأعمال وأفعال المحبة والرحمة، فليتنازل عن الحق الذي يتمتع به بسبب طبيعته، وليُسلِّم إلى حكمنا عليه. إن الذي يديننا لا يستنكف من أن ندينه كالمكتوب: " حتى يتبرر في أقواله ويغلب إذا حوكم" (مز٥١: ٤).

٢١ ـ أليس صالحاً ذاك الذي أعطاني أشياء حسنة؟ أليس صالحاً ذاك الذي عندما هرب ستمائة ألف من شعب اليهود من أمام الذين يطاردونهم، فتح فجأة تيارات البحر الأحمر، كميات من الماء غير المنقطع؟ حتى إن الأمواج فاضت حول المؤمنين وصارت سوراً لهم ولكنها دفعت غير المؤمنين إلى الخلف وأغرقتهم[١].

٢٢ ـ أليس صالحاً الذي بأمره صارت البحار أرضاً يابساً تحت أقدام الهاربين، وأخرجت الصخور ماء للعطاش[٢]؟ حتى تُعرف أعمال الخالق الحقيقي عندما صار السائل المنحلّ صلباً، وتدفَّق الماء من الصخرة؟ حتى نعترف بأن هذا هو عمل المسيح كما قال الرسول: " والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠: ٤).

٢٣ ـ أليس هو صالحاً ذاك الذي عال في البرية بخبز من السماء، هذه الآلاف غير المحصاة من الناس، لئلا تقتحمهم أي مجاعة، فكانوا بلا حاجة إلى أي جهد بل وصاروا متمتعين بالراحة؟ حتى أنه لمدة أربعين سنة لم تبلَ ثيابهم عليهم وسيورهم لم تُقطع[٣]، وهذا أمر يرمز للمؤمنين في القيامة الآتية، ليبيِّن أنه لا مجد الأعمال العظيمة ولا جمال القوة التي وشَّحنا الله بها، ولا مجرى الحياة البشرية، يصنعها هو بدون هدف؟

٢٤ ـ أليس صالحاً الذي رفع الأرض إلى السماء، حتى إنه كما أن مجموعات النجوم تعكس مجده في السماء كما في مرآة، هكذا جوقات الرسل والشهداء والكهنة إذ يضيئون كالنجوم المجيدة يمكن أن ينيروا لكل العالم[٤].

٢٥ ـ إذن هو ليس صالحاً فقط، بل وأكثر من هذا، إنه راع صالح لقطيعه لأن " الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف"، نعم! إنه وضع نفسه ليرفعنا ـ ولكن بسلطان لاهوته وضع نفسه وأخذها: " لي سلطان أن أضع نفسي وأن آخذها أيضاً، ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتي" (يو١٠: ١١و١٧و١٨).

٢٦ ـ ها أنت ترى صلاحه، إذ يضع نفسه من ذاته، وها أنت ترى قوته إذ أنه أخذها أيضاً ـ هل تنكر صلاحه بينما هو يقول عن نفسه في الإنجيل: " أم أن عينيك شريرة لأني أنا صالح" (مت٢٠: ١٥)؟ أيها الشقي غير الشاكر، ماذا تفعل؟ هل تنكر صلاحه وهو الذي يكمن فيه رجاؤك بخصوص الصالحات؟ هذا إن كنت تؤمن حقاً بهذا. هل تنكر صلاحه وهو الذي أعطانا: " ما لم ترَ عين وما لم تسمع به أذن"؟ (١كو٢: ٩وإش٦٤: ٤).

٢٧ ـ إنه أمر هام أن نؤمن أنه صالح، لأنه " صالح هو الاتكال على الرب" (مز١١٨: ٨)، إن هذا يبهجني أن أعترف للرب، لأنه مكتوب: " اعترفوا للرب فإنه صالح"[٥].

٢٨ ـ إن أمر نافع لي أن أعتبر أن ديّاني صالح، لأن الرب قاضي عادل لبيت إسرائيل. فإن كان ابن الله هو قاضي (فينتج عن ذلك) أن الذي هو قاضي وابن الله هو الإله العادل[٦].

٢٩ ـ ولكن ربما لا تصدق الآخرين ولا تصدق الابن. اسمع إذن الآب يقول: " فاض قلبي بالكلمة الصالحة" (مز٤٥: ١) فالابن إذن هو صالح، والابن هو المكتوب عنه: " والكلمة كان مع الله وكان الكلمة الله" (انظر يو١: ١)، فإن كان الكلمة صالحاً والابن هو كلمة الله، فبالتأكيد ـ رغم أن هذا لا يرضى الآريوسيين ـ يكون ابن الله هو الله. فلتحمّر وجوههم من الخجل.

٣٠ ـ اعتاد اليهود أن يقولوا: " إنه صالح "، مع أن البعض قالوا: " إنه ليس كذلك"، مع أن آخرين قالوا: " إنه صالح" ولكن أنتم ـ معشر الآريوسيين ـ جميعكم تنكرون صلاحه[٧].

٣١ ـ إن كان صالحاً، ذاك الذي يصفح عن خطية إنسان واحد، ألا يكون صالحاً الذي حمل خطية العالم؟ فهو الذي قيل عنه: " هوذا حمل الله، هوذا الذي يحمل خطية العالم" (يو١: ٢٩).

٣٢ ـ ولكن لماذا نشك؟ لقد آمَنَتْ الكنيسة بصلاحه طوال هذه الأجيال، وقد عبّرت عن اعترافها بالإيمان بالمكتوب: " ليقبّلني بقبلات فمه، لأن حبك أطيب من

الخمر" (نش١:١)، وأيضاً: " حنكك كأجود الخمر" (نش٧:٩). لذلك فمن صلاحه هو يغذينا بينابيع الناموس والنعمة، ويخفف أحزان البشر بأن يخبرهم عن الأمور السماوية، فهل ننكر بعد ذلك صلاحه، بينما وهو نفسه هو الإعلان عن الصلاح، فإنه يُعبِّر في شخصه عن صورة الجود الأزلي، كما أوضحنا أعلاه أنه مكتوب أنه الانعكاس الذي بلا لوم والصورة المطابقة لذلك الجود.

٣٣ ـ ماذا تظن إذن، يا من تُنكر صلاح ابن الله وألوهيته الحقيقية، مع أنه مكتوب إنه ليس إله آخر إلاّ واحداً؟[١] لأنه وإن وُجِدَ ما يُسمى آلهة، فهل ستحسب المسيح ضمن تلك التى تُسمى آلهة، وهي ليست كذلك، بينما ترى أن المسيح جوهره أزلى، وأنه لا يوجد سواه من هو صالح وإله حقيقي، بسبب أن الآب فيه[٢]. إذ أن من طبيعة الآب ذاتها، إنه لا يوجد إله حقيقي آخر سواه، لأن الله واحد، كما أننا لا نخلط أقنومَي الآب والابن كما يفعل السابيليون، ولا نفصل الآب عن الابن كما يفعل الآريوسيون، لأن الآب والابن، كأب وابن هما أقنومان مميزان، دون أى انقسام لألوهيتهما.

٣٤ ـ بما أننا نرى أن ابن الله هو (إله) حقيقي وصالح، فبالضرورة يكون هو الإله القادر على كل شيء. هل يمكن أن يوجد أي شك في هذه النقطة؟ لقد استشهدنا سابقاً بالآية التي تقول عنه: " اسمه الرب القادر على كل شيء"[١]، إذن، فلأن الابن هو الرب، والرب قادر على كل شيء، من ثمّ يكون ابن الله هو القادر على كل شيء.

٣٥ ـ واسمع أيضاً العبارة التالية، والتي لا يمكن استخراج أي شكوك فيها[٢]، حيث يقول الكتاب: "هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم آمين. أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء" (رؤ١:٧و٨). وأنا أسأل، من الذي طعنوه؟ لأن من هو الذي نترجى مجيئه سوى الابن؟ فالمسيح إذن هو الرب القادر على كل شيء وهو الله.

٣٦ ـ اسمع عبارة أخرى يا صاحب الجلالة، اسمع صوت المسيح: " لأنه هكذا قال الرب القادر على كل شيء: بعد مجده أرسلني ضد الأمم الذي سلبوكم، لأنه من يمسكم يمس حدقة عينه، لأني هأنذا أحرك يدي على الذين سلبوكم وأنقذكم، فيكونون سلباً لكم، فيعلمون أن الرب القادر على كل شيء أرسلني" (زك٢:٨و٩س). من الواضح أن الذي يتكلم هو الرب القادر على كل شيء، والذي أرسل هو الرب القادر على كل شيء، وتبعاً لذلك إذن، فإن القوة القادرة على كل شيء تخص الآب والابن كليهما، ومع ذلك فهو إله واحد قادر على كل شيء، لأنه توجد وحدانية في العظمة والجلالة.

٣٧ ـ وعلاوة على ذلك، ولكي تعلم يا صاحب الجلالة أن المسيح الذي تكلم في الأناجيل هو نفسه تكلم في الأنبياء، فإنه يقول بفم إشعياء كما لو كان يسبق ويتكلم عن الإنجيل: " أنا نفسي الذي تكلمت، أنا آتي"[٣]،، أي إنني أنا الذي تكلم في الناموس حاضر في الإنجيل.

٣٨ ـ وفي موضع آخر يقول أيضاً: " كل ما للآب هو لي" (يو١٦:١٥)، ماذا يقصد بـ "كل ما"؟ واضح أنه لا يقصد الأشياء المخلوقة، لأن هذه كلها قد خُلِقت بالابن، بل يقصد الأشياء التي للآب، أى، الأزلية، الهيمنة، الألوهية، هذه الأشياء التي يملكها كمولود من الآب. ومن ثمّ لا يمكن أن نشك أن الابن قادر على كل شيء، إذ أن له كل ما للآب، بحسب المكتوب: " كل ما للآب هو لي".

٣٩ ـ مع أنه مكتوب بخصوص الله: " المبارك القادر الوحيد" (١تى٦:١٥)، إلاّ أنه لا يساورني أدنى شك بأن ابن الله منفصل عن الآب، إذ أرى أن الكتاب المقدس يستخدم لقب " القادر الوحيد" ليس للآب وحده، فالآب نفسه أيضاً يُصرِّح بخصوص المسيح بفم النبي: " جعلتُ عوناً على مَنْ هو قوي" (مز٨٩:١٩). فمن ثمَّ ليس هو الآب فقط القادر الوحيد، بل والله الابن أيضاً قادر، لأنه عندما يُمدح الآب يُمدح الابن أيضاً.

٤٠ ـ حقاً، فليبيِّن أي شخصٌ، ما هو الذي لا يقدر ابن الله أن يفعله. مَنْ كان معينه عندما صنع السموات؟ مَنْ كان معينه عندما وضع أسس العالم[١]؟ وهل كان محتاجاً لأيّ معين ليحرِّر الإنسان، وهو الذي لم يكن محتاجاً إلى أحد في خلق الملائكة والرئاسات[٢]؟

٤١ ـ يقولون: " إنه مكتوب: " يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنيِّ هذه الكأس" (مت٢٦:٣٩، مر١٤:٣٥، لو٢٢:٤٢)، فإن كان قادراً على كل شيء، فكيف يشكُ هو إذن في هذه الإمكانية؟"، بمعنى أنه حيث إني برهنتُ على قدرته، فقد برهنتُ إنه لم يشكُ في قدرته على كل شيء.

٤٢ ـ أنت تقول إن الكلمات هي كلمات المسيح، هذا حق، ولكن يجب أن نفكر في المناسبة التي قالها فيها، وبأي صفة كان يتكلم. لقد أخذ لنفسه طبيعة الإنسان[٣] ومِن ثمَّ فقد أخذ معها أحاسيسها. كما تجد أيضاً في الموضع المذكور أعلاه أنه: " تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يُصلِّى قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن" (مت٢٦:٣٩، مر١٤:٣٥)، فهو يتكلم إذن ليس كإله ولكن كإنسان، لأنه هل يمكن أن يكون الله جاهلاً بإمكانية حدوث أو عدم حدوث شيء ما ؟ وهل يوجد أيّ شيء غير ممكن لدى الله، والكتاب يقول: " لا يعسر عليك أمر" (أى٤٢:٢).

٤٣ ـ مَن هو الذي يشك فيه، في نفسه أم في الآب؟ بالتأكيد في نفسه، هذا الذي يقول: " لتعبُر عنىِّ"، مِن حيث إنه يشعر كإنسان. إن النبي لا يُدوِّن شيئاً يحسب أنه مستحيل لدى الله. فإن كان النبي لا يشك، فهل تظن أن الابن يشك؟ هل تضع الله أقلّ مِن الإنسان؟ ماذا؟ هل ابن الله لديه شكوك من جهة أبيه، وهو يخاف في مواجهة الموت؟ هل المسيح يخاف؟ بينما بطرس لا يخاف شيئاً. يقول بطرس: " إنيِّ أضع نفسي عنك" (يو١٣:٣٧)، بينما يقول المسيح: " نفسي قد اضطربت" (يو١٢:٢٧).

٤٤ ـ إن كلا النصّين صواب، ومِن الطبيعي أن يكون بالتساوي أن الإنسان الذي هو أقل لا يخاف، بينما الأعظم يتحمل هذا الشعور؛ لأن الأول له كل ما للإنسان مِن جهل بقوة الموت، بينما الآخر، إذ هو الله ساكناً في جسدٍ يُصوِّر ضعف الجسد، حتى لا يكون لشرِّ أولئك الذين ينكرون سر التجسد أيّ عذر. إذن هو قال هذا، بينما لا يؤمن المانويون[٤] بذلك، وينكره فالنتيونوس، بينما يقول عنه ماركيون إنه خيال.

٤٥ ـ وفي الواقع، فإن المسيح هنا يضع نفسه في مستوى الإنسان، حتى يُظهر نفسه ليكون في حقيقة شكله البشرى، فيقول: " ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت٢٦:٣٩)، مع أنه حقاً أن قوة المسيح الخاصة هي أن يريد ما يريد الآب، كما أنه يفعل ما يفعله الآب.

٤٦ ـ ليت الاعتراض ينتهي عند هذا الحد، هذا الذي اعتدتم أن تعارضونا فيه بسبب قول السيد: " ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"، وأيضاً: " لأني قد نزلت مِن السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" (يو٦:٣٨).

٤٧ ـ دعنا الآن ـ في الوقت الحاضر ـ نشرح بأكثر استفاضة لماذا قال ربنا: "إن أمكن"، ولنفسح وقتاً لنوضح أنه يملُك حرية الإرادة. أنتم تنكرون ـ بل حتى الآن تمضون في طريق شرّكم ـ وتنكرون أن لابن الله مشيئة حُرَّة، وعلاوة على ذلك، فإنكم تميلون إلى أن تحطُّوا مِن قدر الروح القدس، مع أنه لا يمكنكم أن تنكروا ما هو مكتوب: " الروح يهب حيث يشاء" (يو٣:٨)[١]. يقول الكتاب: " حيث يشاء"، ولم يقُل: "حيث يُؤمر". فإن كان الروح إذن يهب حيث يشاء، أفما يُمكن للابن أن يفعل ما يشاء؟ لماذا؟ إنه ابن الله نفسه الذي يقول في إنجيله إن الروح له القوة أن يهبَّ حيث يشاء. فهل الابن بذلك يعترف أن الروح أعظم منه، بكون الروح له القوة أن يفعل ما لم يُسمح به للابن؟

٤٨ ـ يقول الرسول أيضاً: " ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢:١١). لاحظ القول: " كما يشاء"، أى بحسب حكم مشيئة حُرَّة وليس طاعة لِما هو قهري. وعلاوة على ذلك، فإن المواهب التي

تُوزَّع (تُقسَّم) بواسطة الروح ليست هي مجرد مواهب بسيطة أو عادية، بل مِن مثل تلك الأفعال التي اعتاد الله أن يعملها في موهبة شفاء وأعمال قُوَّات. وبينما الروح إذن يُقسِّم كما يشاء، ألا يمكن لابن الله أن يُحرِّر مَن يشاء!. اسمعه يتكلم عندما يفعل ما يشاء: " أشاء أن أفعل مشيئتك يا إلهي" (مز٤٠:٨)، وأيضاً: " أقدِّم لك ذبيحة طوعية" (مز٥٤:٦).

٤٩ ـ لقد عرف الرسول القديس فيما بعد أن يسوع له القدرة أن يفعل ما يشاء، ولذلك فإذ رآه يمشى على البحر قال: " يا سيد إن كنتَ أنتَ هو، فمُرنى أن آتى إليك على الماء" (مت١٤:٢٨). لقد آمن بطرس أنه إنْ أمَرَ المسيح، فإن الأحوال الطبيعية سوف تتغيَّر، والمياه سوف تُدعِّم خطوات الإنسان، والأشياء المناقضة سوف تُقهَر وتنقص لتؤول إلى انسجام واتّفاق. إن بطرس يطلب مِن المسيح أن يأمُر، وتمَّ ما أمَرَ به، وهذا ينكره آريوس!

٥٠ ـ ما هو الذي يكون للآب ولا يكون للابن؟، وما هو الذي للابن وليس هو للآب؟ وكما هو مكتوب، فإن: " الآب يُحيى مَن يشاء، والابن أيضاً يُحيى من يشاء" (يو٥:٢١). قل لي، مَنْ أحياه الابن والآب لم يُحيه، وإن كان الابن يُحيى من يشاء، وفِعل الآب والابن واحد، فأنت ترى أنه ليس الابن فقط يصنع مشيئة الآب، ولكن الآب أيضاً يفعل مشيئة الابن، لأن عملية الإحياء لا تتم إلاّ مِن خلال رغبة المسيح في الإحياء. ولكن فِعل المسيح هو مشيئة الآب، لذلك فمن يحييه الابن، فإنما يحييه بمشيئة الآب، لذلك فإن مشيئتهما هي واحدة.

٥١ ـ ومرة أخرى، ماذا كانت مشيئة الآب إلاّ أن يأتي المسيح إلى العالم وأن يُطهِّرنا من خطايانا؟ اسمع كلمات الأبرص: " إن شئت تقدر أن تطهرني" (مت٨:٢)، وأجابه المسيح: " أريد"، وللوقت تبعت الصحة الإرادة. ألا ترى أن الابن هو سيد مشيئته الخاصة، وأن مشيئة المسيح هي نفسها مشيئة الآب. وإن كنتَ ترى حقاً أنه قال: " كل ما للآب هو لي"، فبالضرورة لم يستثنِ شيئاً، ومِن ثمّ تكون للابن نفس المشيئة التي للآب.

٥٢ ـ لذلك، فإنه توجد وحدة في المشيئة حيث توجد وحدة في العمل، لأنه في الله، فإن مشيئته يصدر عنها مباشرة فعل حقيقي، ولكن مشيئة الله شيء، والمشيئة البشرية شيء آخر. وعلاوة على ذلك، فإن الحياة هي هدف المشيئة البشرية، فنحن نخاف الموت، بينما آلام المسيح كانت تعتمد على المشيئة الإلهية بأن يتألم لأجلنا، ولكي يوضح الرب ذلك، فعندما حاول بطرس أن يثنيه عن الآلام، قال له: " أنت لا تهتم بما لله. بل بما للناس" (مت١٦:٢٣).

٥٣ ـ ولذلك، أخذ مشيئتي لنفسه، أخذ أحزاني وبثقة أدعوها أحزاني، لأنني أكرز بصليبه. إن ما هو خاص بي هو المشيئة التي سمّاها مشيئته، لأنه كإنسان هو حمل

أحزانى، وكإنسان تكلَّم ولذلك قال: " لا مشيئتي بل مشيئتك". الأحزان هي أحزانى، وما هو خاص بي والحِمل الثقيل الذي حمله بسبب حزني هو حملي أنا، لأنه لا يوجد مَن يتهلّل عندما يكون على حافة الموت. هو يتألم معي ويتألم لأجلى، فهو حزن لأجلى. وتثقل لأجلى. لذلك فهو حزن بدلاً منى وحزن فيّ، هو الذي لم يكن هناك سبب يجعله يحزن لأجل نفسه.

٥٤ ـ ليست جروحك هي التي آلمتك أيها الرب يسوع، بل جروحي؛ ليس هو موتك بل هو ضعفنا الذي تسبب في آلامك، كما يقول النبى: " ضُربَ لأجلنا" (إش٥٣: ٤س)، ونحن يارب، حسبناك مضروباً عندما تألمت ليس لأجل نفسك بل لأجلى.

٥٥ ـ وما الغرابة إن كان الذي بكى لأجل واحد، يحزن لأجل الجميع؟، وما الغرابة إن كان قد تثقل لأجل الجميع ساعة الموت هذا الذي بكى وهو مزمع أن يُقيم لعازر من الموت؟ حقاً لقد تحرَّكت مشاعره بتأثير دموع أخت لعازر المُحِبَّة، لأن هذه الدموع مسّت قلبه الإنساني، وهنا وبحزن سِرِّى سمح للمشاعر الإنسانية أن تُعبِّر عن نفسها، حيث كما أن موته وضع نهاية للموت، وجلداته شفت جروحنا، هكذا أيضاً فإن حزنه أزال أحزاننا[١].

٥٦ ـ لذلك، فهو كإنسان، كان يشكّ، وكإنسان كان يندهش، ولكن لا قوَّته ولا ألوهيته تُدهش، ولكن نفسه. لقد دُهِشَ نتيجة أنه أخذ ضعفنا البشرى على عاتقه، وإذ ترى أنه اتخذ نفساً، فقد اتخذ أيضاً مشاعر النفس الإنسانية[٢]، لأنه لا يمكن لله أن يتألم أو يموت من جهة كونه الله. وأخيراً، فإنه صرخ: " إلهي إلهي لماذا تركتني"؟ (مز٢٢: ١، مت٢٧: ٤٦، مر١٥: ٣٤). فهو يتكلَّم هكذا كإنسان حاملاً معه مخاوفي، لأننا عندما نكون وسط المخاطر، فإننا ربما نظن في أنفسنا أن الله قد تركنا. فهو قد تألم كإنسان، وبكى كإنسان وصُلِبَ كإنسان.

٥٧ ـ وهكذا فإن الرسول بولس يقول: " لأنهم صلبوا جسد المسيح" (غلا٥: ٢٤)[٣]، ويقول القديس بطرس أيضاً: " إذ قد تألم المسيح.. بالجسد" (١بط٤: ١). لذلك فالجسد هو الذي تألم، بينما اللاهوت هو فوق في أمان مِن الموت، وقد خضع جسده للألم بحسب طبيعة البشر. هل يمكن للاهوت أن يموت بينما النفس لا تموت؟ يقول ربنا: " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها" (مت١٠: ٢٨). فإن كانت النفس لا يمكن أن تُقتل، فكيف يمكن أن يموت اللاهوت؟

٥٨ ـ إذن، فعندما نقرأ أن رب المجد قد صُلِبَ، فعلينا ألاّ نفترض أنه قد صُلِبَ كما في مجده[٤]، ولكن لأن الذي هو الله هو أيضاً إنسان، إله بحسب لاهوته، وباتخاذه الجسد لنفسه هو: الإنسان يسوع المسيح؛ لذلك يُقال إن رب المجد قد صُلِبَ، لأنه

بامتلاكه الطبيعتين البشرية والإلهية، فإنه احتمل الآلام في بشريته، حتى يمكننا القول إن الذي تألم يُدعى رب المجد وابن الإنسان معاً في نفس الوقت بغير تمييز بينهما، كما هو مكتوب: " الذي نزل من السماء" (يو٣:١٣).

٥٩ ـ لذلك، فيما يليق ببشرِّيته، فإن ربَّنا قيل عنه إنه شكَّ وإنه اغتم بحزن شديد وإنه قام من الموت، لأن من يموت هو أيضاً يقوم ثانية. وأيضاً بسبب بشرِّيته فإنه قال تلك الأقوال: " أبي أعظم منى" (يو١٤:٢٨)، والتي يُحوِّلها مخاصمونا بخبث ضده.

٦٠ ـ ولكن عندما نقرأ في مقطع آخر: " خرجتُ مِن عند الآب وقد أتيتُ إلى العالم، وأيضاً أتركُ العالمَ وأذهب إلى الآب" (يو١٦:٢٨)، فكيف يمكنه أن يذهب (إلى الآب) إلاّ عن طريق الموت، وكيف يمضى إلاّ بقيامته؟ وعلاوة على ذلك، فإنه يضيف ـ ليوضِّح أنه يتكلم فيما يختص بصعوده: " وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون" (يو١٤:٢٩). لقد كان يتكلم عن الآلام والقيامة التي لجسده، وعن طريق هذه القيامة يؤمن أولئك الذين سبق أن شكُّوا، لأن الله ـ في الحقيقة ـ الموجود في كل مكان لا يَعبُر مِن مكان إلى مكان، ولكن كما أن الإنسان يذهب، فإنه هو نفسه الذي يأتي. وأيضاً، فإنه يقول في موضع آخر: " قوموا ننطلق من ههنا" (يو١٤:٣١)، إذن، فهو يذهب ويأتي، الذي هو أمر مشترك بينه وبيننا.

٦١ ـ فكيف يمكن ـ أن يكون إلهاً أصغر بينما هو إله كامل وحقيقي؟ ولكن من جهة إنسانيته فهو أقلّ. وأنت لا تزال تتعجَّب أنه عندما يتكلم كشخص إنساني فإنه يدعو الآب أعظم منه، بينما هو كإنسان دعا نفسه دودة لا إنسان، وهذا في قوله: " أمّا أنا فدودة لا إنسان" (مز٢٢:٦)، وأيضاً " كشاة تُساق إلى الذبح" (إش٥٣:٧).

٦٢ ـ أمَّا إن كنت تعترف أنه أقلّ من الآب من هذه الجهة فأنا لا أستطيع أن أنكر ذلك، ورغم ذلك فإننا عندما نتكلم بكلمات الكتاب المقدس، فإنه لم يُولد أقلّ، ولكن " وُضِع أقلّ" (عب٢:٩)، أى أنه "جُعِل أدنى". ولكن كيف " وُضِع أقلّ" إلاّ لأنه: " إذ كان في صورة الله، لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه" (فى٢:٦و٧)، وفي الواقع ـ هو لم ينفصل عن ما كان عليه، ولكنه اتخذ لنفسه ما لم يكن له، لأنه " أخذ صورة عبد" (فى٢:٧).

٦٣ ـ وعلاوة على ذلك، فلكي نعرف أنه " وُضِع قليلاً" باتخاذه جسداً لنفسه، فإن داود يُبيِّن لنا أنه كان يتنبأ عن إنسان بقوله: " مَنْ هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن الإنسان حتى تفتقده؟ وضعته قليلاً عن الملائكة" (مز٨:٤و٥)، وفي تفسيره لنفس العبارة، فإن الرسول بولس يقول: " لأننا نرى يسوع الذي وُضِع قليلاً عن الملائكة مُكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت" (عب٢:٩).

٦٤ ـ ومن ثمَّ، فإن ابن الله، قد جُعِل أقلّ، ليس من الآب، بل من الملائكة أيضاً. وإن كنتَ تُحوِّل هذا لتحط من كرامته؛ فأنا أتساءل ما إذا كان الابن ـ من جهة ألوهيته ـ أقلّ من ملائكته الذين يخدمونه ويعبدونه؟ فهكذا وأنت تقصد أن تُقلّل من كرامته، فإنك تنزلق إلى التجديف برفع طبيعة الملائكة فوق ابن الله، ولكن " العبد ليس أفضل من سيده" (مت١٠:٢٤). وأيضاً، فإن الملائكة خدموه حتى بعد تجسده، وذلك لكى تعترف به أنه لم يتعرض لفقدان جلاله بسبب (اتخاذ) طبيعته الجسدية، لأن الله لا يمكن أن يخضع لأي تناقص في ذاته[١]، وما أخذه من العذراء لا يُضيف أو يُنقص من قوته الإلهية.

٦٥ ـ فإذ له ملء اللاهوت والمجد[٢]، فهو إذن من جهة ألوهيته ليس أقلّ (من الآب)، فالأعظم والأقلّ هما من الصفات التي تليق بالموجودات المادية، حيث الأعظم يكون هكذا من جهة الرتبة أو الصفات أو العمر، ولكن هذه المصطلحات تفقد معناها عندما نأتي إلى معالجة أمور الله. فمن الشائع أن من يُسمّى الأعظم هو ذلك الذي يرشد أو يُعلِّم آخر، ولكن ليست الحالة هكذا مع حكمة الله (يقصد المسيح الابن) كأنها بُنِيَت بالتعليم الذي يحصل عليه واحد من آخر، إذ أن الحكمة هي نفسها التي وَضَعت أساس كل تعليم. لذا كتب الرسول: " لكى يذوق بنعمة الله ـ الموت لأجل كل واحد"، وذلك حتى لا نفترض أن اللاهوت وليس الجسد هو الذي كابد الآلام[٣]!.

٦٦ ـ فإن كان معارضونا لم يجدوا وسيلة ليبرهنوا على أن الآب أعظم من الابن، فدعهم لا يقلبون الكلمات إلى أقوال كاذبة. بل فليبحثوا عن معناها. لذلك فأنا أسألهم، من أي ناحية يعتبرون الآب أنه أعظم؟ فإن كان بسبب أنه هو الآب، فأنا أجيبهم، نحن هنا لسنا نسأل عن العمر أو الزمن، فالآب لا يتميز بشعر أبيض ولا الابن بالشباب، هذه الأمور التي على أساسها تقوم الكرامة الأعظم لأي أب. وكلمتا "أب" و"ابن" هما مجرد اسمين، الواحد للوالد والآخر للولد، أسماء يتضح أنها تربط ولا تفصل، لأن الطاعة والقيام بالواجب لا توحي بأي فقدان للجدارة الشخصية، باعتبار أن القرابة تربط الناس ببعض، ولا تُمزقهم.

٦٧ ـ فإن كانوا لا يقدرون أن يجعلوا من نظام الطبيعة سنداً لأي سؤال عندهم، فليؤمنوا الآن بشهادة الكتب، فالبشير يشهد بأن الابن ليس أقلّ من الآب بسبب أنه ابن، حاشا، بل هو يُوضِّح أنه بكونه الابن، فهو مساوٍ للآب بقوله: " فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يو٥:١٨).

٦٨ ـ ليس هذا ما قاله اليهود، ولكن البشير هو الذي شهد بذلك، أي أن المسيح بقوله عن نفسه إنه ابن الله، فهو يجعل نفسه مساوياً لله، لأن اليهود لم يُظهروا

أنفسهم أنهم يقولون: " لهذا السبب نحن نطلب أن نقتله"؛ ولكن البشير هو الذي يشهد بنفسه ويقول: " من أجل هذا كان اليهود يطلبون أن يقتلوه". علاوة على ذلك، فإن البشير قد اكتشف السبب (بقوله) إن اليهود تحركوا بالرغبة في قتله، لأنه إن كان كإله قد كَسرَ السبت، وأيضاً قال إن الله أبوه، فإنه يكون قد نسب إلى نفسه ليس فقط جلال السلطان الإلهي في كسر السبت، بل أيضاً في كلامه عن أبيه نسب إلى نفسه الحق في المساواة الأزلية معه.

٦٩ ـ وقد كانت الإجابة التي أعطاها ابن الله لهؤلاء اليهود مناسبة جداً، بأن أثبت نفسه أنه الابن وأنه مساوي لله؛ إذ قال: " لأن مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن كذلك" (يو٥:١٩)، لذلك فإن الابن قد عُرِفَ وبُرهنَ على أنه المساوي للآب ـ وهى مساواة حقيقية، وهذه المساواة تستبعد أى اختلاف في الألوهية، كما أنها تكشف ليس الابن فقط بل الآب أيضاً، الذي الابن مساوي له؛ لأنه لن تكون هناك مساواة حيث يوجد اختلاف، وأيضاً لن تكون هناك مساواة، لو كان يوجد أقنوم واحد فقط، نظراً لأن الشخص الواحد لا يكون بنفسه مساوياً لنفسه. وهذا ما بيّنه البشير، أنه من اللائق أن يُسمِّى المسيح نفسه ابن الله، أى أنه مساوي لله.

٧٠ ـ ومن ثمّ فإن بولس الرسول، وهو يتبع هذا الإعلان يقول: " لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله"، لأن ما لا يمتلكه الإنسان، فإنه يسعى ليتحصل عليه كغنيمة. لذلك فإن مساواته للآب، كإله ورب، يمتلكها في جوهره الذاتي، وليس كغنيمة استولى عليها لنفسه بطريقة خاطئة. ومن هنا فإن الرسول أضاف الكلمات: " آخذاً صورة عبد". وبالتأكيد، فإن العبد هو عكس المساوي، ومن ثمَّ، فإن الابن مساوي إذ هو في صورة الله، ولكنه أقلّ باتخاذه لنفسه جسداً، وأيضاً في آلامه كإنسان. لأنه كيف يمكن لنفس الطبيعة أن تكون أقل ومتساوية معاً في نفس الوقت؟ وكيف يمكن للابن ـ إن كان أقل ـ أن يعمل نفس الأعمال، بنفس الطريقة، كما يعمل الآب؟ كيف يمكن في الواقع أن يكون العمل واحداً مع وجود اختلاف في القوة؟ هل يستطيع الأقل أن يعمل نفس المفاعيل مثل الأعظم؟ أو هل يمكن أن توجد وحدة في العمل حيث يوجد اختلاف في الجوهر؟

٧١ ـ لذلك، عليك أن تَقْبَل بأن المسيح ـ فيما يمس ألوهيته ـ لا يمكن أن يُسَّمى أقل من الآب. يتكلم المسيح مع إبراهيم ويقول: " أقسمت بذاتي" (تك٢٢:١٦)، والرسول يُبيّن أن من يُقسم بذاته لا يمكن أن يكون أقل من أيٍّ (آخر)، ولذلك يقول: " فإنه لمَّا وعد الله إبراهيم، إذ لم يكن له أعظم يُقسم به، أقسم بنفسه قائلاً: إني لأباركنك بركة وأكثرنك تكثيراً" (عب٦:١٣ و١٤). فالمسيح إذن لا يوجد له آخر أعظم منه ليقسم به، ولهذا السبب فإنه أقسم بذاته. وعلاوة على ذلك، فإن الرسول قد أضاف عن صواب: " فإن الناس يقسمون بالأعظم منهم" (عب٦:١٦)، من حيث إن الناس لهم مَنْ هو أعظم، أمّا الله فليس له أعظم.

٧٢ ـ وإلاّ، فإن كان الذين يعترضون علينا سوف يفهمون الآية السابقة على أنها تُنسب إلى الآب، فإن باقي المكتوب لا يتفق مع هذا، لأن الآب لم يظهر لإبراهيم، ولا أن إبراهيم غسل قدمي الله الآب، ولكنه غسل قدمي ذاك الذي فيه سوف تكون صورة الإنسان[٤]. وعلاوة على ذلك، فإن ابن الله قال: " إبراهيم ... رأى يومي وفرح" (انظر يو٨:٥٦)، لذلك فإن الذي أقسم بذاته هو بعينه الذي رآه إبراهيم.

٧٣ ـ فكيف يكون له مَنْ هو أعظم منه، هذا الذي هو واحد مع الآب في الألوهية[٥]. وحيث توجد وحدة، لا يوجد أى اختلاف، بينما يوجد اختلاف بين الأعظم والأقل. إذاً فإن التعليم في الاقتباس الموجود أمامنا من البشائر فيما يتعلق بالآب والابن، هو أن الآب ليس أعظم، وأن الابن ليس له مَنْ هو أعلا منه، نظراً لأنه لا يوجد بين الآب والابن فرق في الألوهة يفصل بينهما، وإنما جلالٌ واحد.

٧٤ ـ لا تنتابني أية مخاوف بخصوص الاعتراض الشائع من جهة المسيح أنه أقل من الآب ـ بسبب أنه مُرسَل منه ـ لأنه رغم كونه كان مُرسلاً، إلاّ أنه لا ينتج عن هذا أن يكون أقل في الطبيعة؛ ومن الجهة الأخرى، فإن لقبه المساوي في الكرامة (للآب) هو أمر ثابت حقاً. وبما أن الجميع يكرمون الابن كما يكرمون الآب (يو٥:٢٣)، فمن المؤكد أن الابن ليس أقل من الآب، بسبب كونه مُرسَل (منه).

٧٥ ـ لذلك، لا ينبغي أن تلتفت إلى الحدود الضيقة للغة البشرية، بل لاحظ المعنى الواضح للكلمات، وآمن بالحقائق التي تمَّت. تذكَّر أن ربنا يسوع المسيح قال في سفر إشعياء إن الروح قد أرسله (إش٦١:١). فهل لذلك يكون الابن أقل من الروح لأن الروح أرسله؟ وهكذا عندك المكتوب أن الابن يعلن نفسه أنه مُرسَل من الآب ومن روحه. إنه يقول: " أنا الأوّل"، "وأنا الحي إلى الأبد، ويدي أسَّست الأرض ويميني نشرت السموات ليقفن معاً" (إش٤٨:١٢،١٣). وأيضاً: " أنا أنا تكلمت ودعوته، أتيت به فينجَحُ طريقه، تقدموا إليَّ واسمعوا هذا، لم أتكلم من البدء في الخفاء، منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (إش٤٨:١٥،١٦). هنا بالحق نجد أن الذي صنع السماء والأرض هو نفسه الذي أرسله السيد الرب وروحه. فها أنت ترى إذن أنه حتى فقر اللغة لا يقلل شيئاً من كرامة إرساليته، إذن فالآب أرسله، كما أن الروح أرسله أيضاً.

٧٦ ـ ولكي تعرف أنه لا يوجد فرق فاصل في الجلالة والعظمة، فإن الابن أيضاً بدوره يرسل الروح كما قال هو نفسه: " متى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من عند أبى، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق" (يو١٥:٢٦). أما عن كون المعزى نفسه مُرسل من الآب، فقد بيّنه من قبل في قوله: " المعزى الروح القدس الذي يُرسله الآب باسمي" (يو١٤:٢٦). لاحظ وحدتهم من حيث إن الذي يُرسله الآب، فالابن أيضاً يُرسله، والذي يرسله الآب يُرسله الروح أيضاً. وإلاّ كان الآريوسيون لا يعترفون أن الابن قد أرسل لأننا نقرأ أن الابن هو يد الآب اليمنى،

فإنهم بأنفسهم يعترفون فيما يخص الآب بما ينكرونه للابن، إلاّ إذا ـ ربما ـ اخترعوا لأنفسهم أباً آخر أو ابناً آخر.

٧٧ ـ فلنكف إذن عن الجدل العقيم حول الألفاظ، لأن ملكوت الله كما هو مكتوب ليس " بكلام بل بقوة" (انظر ١كو٤:٢٠)، ولننتبه إلى التمييز بين الألوهية والجسد، ففي كليهما يتكلم ابن الله الواحد نفسه، لأن كلاً من الطبيعتين موجودة فيه، ورغم أنه هو نفس الشخص الذي يتكلم، فهو لا يتكلم دائماً بنفس الطريقة. فأنت ترى فيه مجد الله أحياناً، وفي أحيان أخرى ترى آلام الإنسان. فهو كإله يتكلم بأمور الله لأنه هو الكلمة؛ وكإنسان هو يتكلم بأمور الإنسان لأنه يتكلم بطبيعتي.

٧٨ ـ " هذا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء" (يو٦:٥٨). هذا الخبز هو جسده كما قال هو بنفسه: " والخبز الذي أنا أعطى هو جسدي" (يو٦:٥١). هذا هو الذي نزل من السماء، هذا هو الذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، والكتاب نفسه يعلّمنا أن اللاهوت ليس في حاجة إلى تقديس بل الجسد، كما قال الرب نفسه: " لأجلهم أقدس أنا ذاتي" (يو١٧:١٩). وهذا لكى تعترف وتقرّ أنه إنما يتقدس في الجسد لأجلنا، كما أنه هو الذي يُقدِّس (جسده) بقوة لاهوته.

٧٩ ـ هذا هو نفس الابن الذي أرسله الآب، ولكنه كما يقول الرسول: " مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس" (غلا٤:٤). هذا هو نفسه الذي يقول: " روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين" (لو٤:١٨، إش٦١:١)، هذا هو الذي قال: " تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي" (يو٧:١٦،١٧). فالتعليم الذي من الله شيء والتعليم الذي من الإنسان شيء آخر. لذلك فإن اليهود عندما اعتبروه إنساناً وسألوه عن تعليمه وقالوا: " كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟ أجابهم يسوع: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني" (يو١٧:١٥و١٦). فإن كان يُعلِّم وهو لم يعرف أبهة اللغة، يتضح أنه لا يُعلِّم كإنسان ولكن كإله، وهو لم يتعلم (من أحد) ولكنه أبدع تعليمه (بنفسه).

٨٠ ـ لأنه هو الذي أوجد وأبدع كل طريق التعليم كما قرأنا من قبل، نظراً لأنه ابن الله الذي قيل عنه: " هذا هو إلهنا ولا يحاذيه آخر. هو أوجد طريق التعليم بكماله، وبعد ذلك تراءى على الأرض وتخاطب مع الناس" (باروخ٣:٣٦ـ٣٨). كيف إذن وهو إله لا يستطيع أن يكون له تعليمه الخاص، وهو الذي قد أوجد كل طريق التعليم قبل أن يتراءى على الأرض؟ وكيف يكون أقل (من الآب) وهو الذي قيل عنه: " ولا يحاذيه آخر" ؟. بالتأكيد فإنه يعلو على المقارنة، وهو إذا قورن بآخر فإن هذا الآخر لا يمكن أن يكون محاذياً له. والآن إذا افترض أحد أن كلام النبوة هنا هو عن الآب، فإنهم سيسقطون في تجديف سابيليوس، بأن ينسبوا للآب أنه اتخذ طبيعة بشرية.

٨١ ـ فلنأتِ الآن إلى ما يلي: " مَن يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه" (يو٧:١٨). انظر الوحدة التي يُعلن بها الآب والابن بكل وضوح. الذي يتكلم لا يمكن إلاّ أن يكون كائناً ومع ذلك فما يتكلم به لا يمكن أن يكون من نفسه وحده، لأنه كل ما فيه هو موجود فيه طبيعياً من الآب.

٨٢ ـ والآن ما معنى تلك الكلمات: " يطلب مجد نفسه"؟، إنها لا تعنى مجداً لا يكون الآب مشتركاً فيه، لأنه في الحقيقة إن كلمة الله هو مجد الله. ويقول ربنا أيضاً: " لينظروا مجدي" (يو١٧:٢٤)، ولكن مجد الكلمة هو أيضاً مجد الآب كما هو مكتوب: " الرب يسوع المسيح في مجد الآب" (فى٢:١١)، فمن جهة لاهوته، فإن ابن الله له مجده الإلهي الذاتي، ليكون مجد الآب والابن واحداً. فمن ثمَّ لا يكون أقل في البهاء وذلك لأن المجد واحد، ولا أقل في الألوهة لأن ملء اللاهوت حالٌّ فيه (كو١:١٩، ٢:٩).

٨٣ ـ أنت تسأل معي، كيف كُتب: " أيها الآب قد أتت الساعة، مجِّد ابنك"؟ (يو١٧:١). أنت تقول إن الذي يتفوَّه بهذه الكلمات يحتاج إلى أن يتمجَّد، ولكن يا لقصر نظرك! ألم تقرأ بقية المكتوب الذي يكمل: " ليمجدك ابنك أيضاً". هل حَدَثَ مطلقاً أن الآب قد احتاج لأي مجد، حتى يمجِّده الابن؟.

٨٤ ـ وأيضاً فإن خصومنا يثيرون عادة معضلة من جهة طاعة الابن (للآب) باستنادهم على ما هو مكتوب: " وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت" (في٢:٨). فالكاتب لم يذكر فقط أن الابن أطاع حتى الموت، ولكنه يبيّن أولاً أنه كان إنساناً، حتى يمكننا أن نفهم أن الطاعة حتى الموت كانت فيما يخص تجسده، وليست خاصة بألوهته، ولذلك اتخذ الوظائف وكذلك الأسماء التي تخص طبيعتنا.

٨٥ ـ وهكذا تعلّمنا أن قوة الثالوث هي واحدة، وهذا تعلّمناه من آلام الرب وكذلك بعد آلامه: لأن الابن يتألم بجسده، هذه الآلام التي هي علامة هذا التجسد، والروح القدس ينسكب (من الآب) على الرسل، والمسيح يستودع روحه في يدي الآب؛ وعلاوة على ذلك، فالله يُنادى به بصوت مقتدر أنه الآب. تعلّمنا أنه توجد صورة واحدة، شبه واحد، تقديس واحد للآب والابن، نشاطٌ واحد ومجدٌ واحد، وأخيراً ألوهة واحدة.

٨٦ ـ لذلك فإنه يوجد إله واحد كما هو مكتوب: " للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (تث٦:١٣)، إله واحد لا بمعنى أن الآب والابن هما نفس الشخص، كما يقول سابيليوس الهرطوقي، ولكن بمعنى أنه توجد ألوهة واحدة لكل من الآب والابن والروح القدس، وحيث توجد ألوهة واحدة، فإنه توجد مشيئة واحدة وهدف واحد.

٨٧ ـ ولكي تعرف أيضاً أن الآب كائن وأن الابن كائن وأن عمل الآب وعمل الابن هو واحد، أنصت لقول بولس الرسول: " والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدى طريقنا إليكم" (١تس٣:١١)، فمع أن اسم الآب والابن مذكوران، ولكن توجد وحدة في اتجاه الهداية، وهذا بسبب وحدة السلطان. كما نقرأ في موضع آخر: " وربنا نفسه يسوع المسيح والله وأبونا، الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة، يُعزى ويُثبِّت قلوبكم" (٢تس٢:١٦و١٧). كم هي كاملة تلك الوحدة التي يضعها الرسول أمامنا، حيث إنَّ ينبوع العزاء ليس متعدداً، وإنما هو واحد. ليخرس كل شك، أو إن لم يُغلب بالبرهان العقلي، فليثنِه فكر ربنا الرحوم الشفوق (ليرجع عن غِيِّه).

٨٨ ـ فلنتذكر كيف تعامل معنا ربنا بكل إشفاق، إذ أنه علّمنا ليس الإيمان فقط، بل والأخلاق أيضاً. لأنه عندما جاء في هيئة إنسان، فإنه كان خاضعاً ليوسف ومريم (لو٢:٥١). فهل كان هو أقل من كل البشر بسبب خضوعه؟ إن القيام بالواجب شيء أما السيادة فشيء آخر، ولكن القيام بالواجب لا يلغى السيادة.إذن، متى كان المسيح خاضعاً لناموس الآب؟ بالتأكيد كان ذلك بجسده، والذي به كان خاضعاً لأمه أيضاً.

٨٩ ـ دعنا بالمِثل نتعامل بعطف، دعنا نُقنِع الذين يعادوننا بما هو نافع لهم، " هلم نسجد ونجثو وننوح أمام الرب خالقنا" (مز٩٥:٦س)، لأننا لن نطرحهم بعيداً بل بالأحرى سوف نشفى، إننا لن نضع فخاً أمامهم، ولكننا سوف نحذِّرهم كما هو الواجب. إن الشفقة كثيراً ما تُغيِّر أولئك الذين لا ينفع في إخضاعهم لا القوة ولا الجدال. وربنا أيضاً عالج بالزيت والخمر الرجل الذي كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، والذي وقع بين اللصوص ولم يعالجه بأدوية الناموس الخشنة ولا بالنبوات الجافة.

٩٠ ـ لذلك، فليأتِ إليه جميع الذين يريدون أن يصيروا أصحاء. دعهم يأخذون الدواء الذي أنزله من عند أبيه والمصنوع في السماء، والذي أعدَّه من عصائر تلك الثمار السمائية التي لا تذبل. هذا ليس من نتاج أرضى، لأن الطبيعة لا يوجد بها هذا المزيج في أى مكان. أخذ جسدنا لأجل هدف عجيب، لكى يُبيِّن لنا أن ناموس الجسد قد أُخضِع لناموس العقل. لقد تجسَّد معلِّم البشر لكى يغلب كإنسان.

٩١ ـ ماذا كان سيفيدني، لو أنه كإله كشف عن ذراع قوَّته وأظهر أن ألوهيته لا تُنتهك؟ فلماذا أَتخذ لنفسه طبيعة بشرية وسمح لنفسه أن يُجرَّب تحت ظروف طبيعتي وضعفي؟ لقد كان من الصواب أن يُجرَّب وأن يتألم معي، وذلك لكى أعرف كيف أنتَصِر عندما أجرَّب، وكيف أهرب عندما أضغَط بشدة. لقد انتصر بقوة طهارته وقوة الازدراء بالغِنَى؛ وبالإيمان. فقد وطأ الطمع وهرب من الإفراط والتطرف، آمراً الشهوانية أن تبقى بعيدة عنه.

٩٢ ـ هذا الدواء شاهده بطرس، فترك شباكه، أى أدوات الصيد والرِّبح المضمون، وتخلى عن شهوة الجسد كأنها سفينة مثقوبة في القاع تتسرب إليها شهوات متعددة كثيرة. حقّاً إنه علاج فعَّال، لا ينزع فقط ندبة الجرح القديم، بل وأيضاً يقطع أصل الألم ومصدره. أيه أيها الإيمان الأثمن مِن كل خزائن الجواهر؛ أيها الدواء الممتاز، الشافي لجراحاتنا وخطايانا!.

٩٣ ـ دعنا نذكِّر أنفسنا بمنفعة الإيمان الصحيح. إنه نافع لي أن أعرف أنه مِن أجلى حَمَل المسيح ضعفاتي، أخضع نفسه لمشاعر جسدي، ولأجلى، أى لأجل كل إنسان، صار خطيَّة ولعنة[١]، ولأجلى وفي تذلَّل وصار خاضعاً، ولأجلى صار حملاً وكرمة وصخرة[٢] وعبداً، وابن الأمَة[٣] (يقصد الأمة اليهودية والعذراء)، (قاصداً) ألاّ يعرف يوم الدينونة ، ولأجلى لا يعرف اليوم ولا الساعة[٤].

٩٤ ـ لأنه كيف يمكنه، وهو الذي صنع الأيام والأزمنة أن يكون غير عارف لليوم (الدينونة)؟ كيف لا يمكنه أن يعرف اليوم وهو الذي أعلن زمن الدينونة الآتية وسببها[٥]؟ وهو قد صار لعنة، إذن، لا من جهة ألوهيته وإنما من جهة جسده، لأنه مكتوب: " ملعون كل مَن عُلِّق على خشبة" (تث٢١:٢٣، غل٣:١٣)، ولذلك فإنه في الجسد أى بعد التجسد قد عُلِّق، ولذلك فإن هذا الذي حَمَل لعناتنا صار لعنة[٦]. إنه بكى، حتى لا يطول بكاؤك أيها الإنسان، واحتَمَلَ الإهانة حتى لا تحزن قِبالة الإساءة التي تصيبك[٧].

٩٥ ـ إنه علاج عظيم أن نتعزَّى بالمسيح! لأنه احتمل هذه الأشياء في صبر تجاوز الحدّ لأجلنا، ونحن لا نقدر أن نحتملها بصبرٍ مماثل لأجل مجد اسمه! مَن مِنَّا لا يتعلَّم أن يصفح عندما يُهَاجم، وهو يرى المسيح حتى وهو على الصليب يُصلِّى لأجل أولئك الذين اضطهدوه؟ أما ترى أن ضعفات المسيح هذه كما يُسرِّك (أيها الهرطوقي) أن تُسمِّيها إنما هي قوَّتك[٨]؟ لماذا تسأله عن أدوية لعلاجنا؟ إن دموعه تغسلنا، وبكاءه يطهِّرنا، فلا تشكَّ أنه توجد قوة خاصة في الضعف، لأنك إن كنت تشك (في قوته) فسوف تيأس. وكلَّما كانت الإهانة أكبر، كلَّما كان الامتنان الذي يليق به أعظم.

٩٦ـ حتى في وقت السخرية والاستهزاء، عليك أن تعترف بألوهيته. إنه عُلِّق على الصليب، وكل العناصر أولتهُ التكريم[٩]. الشمس أخفت شعاعها، ونور النهار احتجب، والظلمة أقبلت وغطَّت الأرض، والأرض اهتزت مع أن المُعلَّق هناك لم يهتز. إلى أيّ شيء تشير هذه العلامات إلاّ إلى توقير الخالق؟ إن هذا المُعلَّق على الصليب، هذا الذي تلاحظه أيها الآريوسى، هذا هو مُعطِى ملكوت الله، وأنتَ لا تُريد أن تعتبره أو تلتفت إليه. إنك تقرأ أنه ذاق الموت، ولكنه أيضاً هو الذي دعا اللص إلى الفردوس[١٠]، ولكن أنتَ لا تنتبه لمثل هذا العمل. إنك تُحملِق في المرأة التي تبكى عند القبر، ولكن لا تنظر إلى الملائكة التي تظل تحرسه[١١]. إنك تقرأ ما

يقوله، ولكنك لا تقرأ ما يعمله. أنتَ تقول إن الرب قال للمرأة الكنعانية: " لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت١٥: ٢٤)، ولكنك لا تذكر إنه أتمَّ ما توسلَّت إليه أن يعمله.

٩٧ ـ وهكذا عليك أن تفهم أن كونه: " أرسِل" لا يعنى أنه أجبر على ذلك بأمر آخرَ، ولكنه عمل هذا بإرادة حُرَّة، وبحسب فكره الخاص. وإلاّ فأنتَ سوف تتّهمهُ أنه يحتقر أباه، لأنه إن كان بحسب شرحك قد جاء المسيح إلى اليهود مثل من يُتمِّم وصايا الآب ليخلِّص شعب اليهود وليس أحد آخر معهم، ومع ذلك فإنه مِن قبْل أن يُتمِّم هذا، فإنه أقام ابنة المرأة الكنعانية ، فهو بالتأكيد ليس فقط يُتمِّم وصايا آخر، ولكنه حُرٌّ أيضاً ليمارس حكمه ورأيه الخاص. وحيث توجد حرِّية في أن يعمل الشخص ما يريد، فلا يمكن أن يكون هناك تعدِّى على مهام إرسالية الشخص.

٩٨ ـ لا تخف أن يكون عمل الابن لا يرضى الآب، لأنك ترى الابن نفسه يقول: " لأني في كل حين أفعل ما يرضيه"، وأيضاً: " الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً"(يو٨: ٢٩، ١٤: ١٢). كيف إذن، يكون الآب غير راضٍ عما يفعله هو نفسه بواسطة الابن؟ كما هو مكتوب: " لأن الله واحد هو الذي سيُبرِّر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان" (رو٣: ٣٠).

٩٩ ـ اقرأ جميع الكتب المقدسة، أصغِ إليها باجتهاد، سوف تجد عندئذٍ أن المسيح قد أظهر ذاته حتى يمكن أن نرى الله في الإنسان، وعندما تسمع الآب يُعلن رضاءه عن الابن، فلا تسئ الفهم بخبث من جهة تمجيد الابن في الآب.

١٠٠ ـ إن كان لا يمكن أن يتحوَّل مقاومونا باللطف، فلنستدعِهم أمام القاضي. إلى أيّ قاضٍ إذاً سنذهب؟ بالتأكيد إلى مَنْ له الدينونة. هل إلى الآب؟ كلاَّ، " لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو٥: ٢٢). إن الابن أعطى هذا ليس كإنعام، بل في ولادته من الآب. انظر إذن كيف أنه، غير راضٍ عن إهانتك لابنه، ومع ذلك فإنه أعطاه أن يكون ديَّاناً لك.

١٠١ ـ دعنا إذن في موقف القضاء، مَنْ يكون له الدعوى الأفضل، أنت أم أنا؟ بالتأكيد إن اهتمام الفريق الحكيم وهو يعرض الدعوى أن ينال أولاً رضا القاضي. أنت الذي تُكرِّم الإنسان ألا تكرِّم الله؟ إنني أسألك أيهما سوف يجد قبولاً عند القاضي: الاحترام أم الازدراء؟ افترض إنني على خطأ، ومع أنني بالتأكيد لست هكذا، هل المسيح لا يُسرُّ بالكرامة التي نقدمها؟ نحن كلنا خطاة، فمن الذي سيكون جديراً بالغفران: هل الذي يُقدِّم العبادة أم الذي يظهر العجرفة؟

١٠٢ ـ أمّا إذا كان العقل لا يستحثَّك، فعلى الأقل دع وجه الدينونة الواضح يحركك! ارفع عينيك إلى الديَّان وانظر مَنْ هو الجالس، ومع مَنْ هو جالس وأين. المسيح

يجلس عن يمين الآب. إن كنت لا تستطيع بعينيك أن ترى هذا، فاسمع كلمات النبى: " قال الرب لربى اجلس عن يميني" (مز ١١٠:١). فالابن إذاً جالس عن يمين الآب. وإلاَّ، قُل لي يا مَن تتمسَّك بأن أمور الله يُحكم عليها من أشياء هذا العالم، فأخبرني إذاً هل أنت تفكر أنه الجالس عن اليمين هو أقل؟ هل هو أمر مهين للآب أن يجلس عن يسار الابن؟ إن الآب يكرِّم الابن وأنت تجعل هذا الإكرام إهانة! إن الآب يجعل هذه الدعوة علامة حب وتقدير، وأنت تعتبرها أمراً مِن سيد متسلط على غيره! المسيح قام من الأموات وجلس عن يمين الله.

١٠٣ ـ ولكنك تعترض وتقول، حسناً، اسمع الآن عبارة لم ينطق بها الآب، ولكن الابن يتنبأ ويقول: " مِن الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة" (مت٢٦:٦٤)، وله يقول الآب: " اجلس عن يميني"[١]. إن كنت حقاً تسأل عن السكن الأبدي للألوهة، فإنه قال عندما سأله بيلاطس ما إذا كان هو ملك اليهود: " لهذا وُلِدت"[٢]، وهكذا فإن الرسول حقاً يوضح أنه من الجيد لنا أن نؤمن أن المسيح يجلس عن يمين الآب، ليس كأمر ولا كنعمة، ولكن كابن الله الحبيب العزيز جداً، لأنه مكتوب: " اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بالأشياء التي هي فوق" (كو٣:١و٢). وأن تهتم بالأشياء التي هي فوق هو أن تؤمن أن المسيح في جلوسه، لا يطيع كمن يتلقَّى أمراً، بل هو مكرَّم كابن محبوب جداً، إذاً، إنه من جهة جسد المسيح يقول الآب: " اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك".

١٠٤ ـ أمّا إذا كنت تسعى مرة أخرى أن تقلب معنى هذه الكلمات: " أضع أعداءك تحت موطئ قدميك"، فإنني أجيب أن الآب أيضاً يعطى للابن أن يقيم الأموات ويُحيى، ويقول المسيح: " لا يقدر أحد أن يُقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو٦:٤٤). وأنتَ تقول إن ابن الله خاضع بسبب الضعف، وهو الابن الذي يجذب الآب إليه الناس ليقيمهم في اليوم الأخير. أتوسل إليك، هل يبدو لعينيك أن هذا خضوع، بينما الملكوت هو معدٌّ للآب والآب يعطيه للابن، ولا مجال لقلب الكلمات، لأن الابن يعطى الملكوت للآب، ولا يوجد من يُفضَّل عليه؟ وبما أن الآب يقدِّم للابن والابن أيضاً يقدِّم للآب، فإنه توجد هنا براهين واضحة على الحب والاعتبار، إذ نرى أن الواحد هكذا يقدم للآخر، فلا يكون الذي يأخذ كأنه يحصل على شيء كما لو كان يخص الآخر، ولا الذي يقدم يَفقد.

١٠٥ ـ وعلاوة على ذلك، فالجلوس عن اليمين ليس هو أفضلية ولا الجلوس عن اليسار يدل على الازدراء، لأنه لا توجد درجات في الألوهة التي لا تُحدّ بمكان أو بزمان، هذه الأمور التي هي معايير وقياسات الأذهان البشرية الناقصة. إنه لا يوجد اختلاف في الحب، ولا ما يقسم الوحدة.

١٠٦ ـ فلماذا إذن الجولان بعيداً؟ وأنت قد رأيت كل شيء حولك، رأيت الديَّان، ولاحظت الملائكة وهم يسبحونه، هل هم يسبحون وأنت تسيء إليه؟ السلاطين والقوات تنطرح أمامه وأنت تتكلم بالشر على اسمه! جميع القديسين يعبدونه وأنتَ لا تعبد ابن الله ولا الروح القدس، بينما السارافيم يقولون " قدوس، قدوس، قدوس" (إش٦:٣).

١٠٧ ـ ماذا يعني هذا النطق المثلث لنفس الاسم: " قدوس"؟ فإن كان يكرر ثلاثاً، فلماذا يكرر إلاّ لأنه فعل تسبيح واحد. وإن كان فعل تسبيح واحد، فلماذا يُكرَّر إذاً ثلاث مرات، لماذا التكرار المثلث إن لم يكن الآب والابن والروح القدس واحد في القداسة؟ إن الساروف ينطق بالاسم ليس مرَّة واحدة لئلا يستبعد الابن، ولا مرتين لئلا يتغاضى عن الروح القدس، وليس أربع مرات لئلا يضيف الكائنات المخلوقة (في تسبيح الخالق). وعلاوة على ذلك، فلكي يبيّن أن ألوهية الثالوث واحدة، فإن بعد الثلاثة تقديسات يضيف في عدد مفرد: "رب الصباؤوت" فالآب إذن قدوس، والابن قدوس، وروح الله قدوس بالمثل، ولهذا فإن الثالوث يُعبَد ولا يَعبُد، ويُسبَّح ولا يسبِّح. أمَّا بالنسبة لي، فإنني أومن مثل السارافيم، وأعبد بحسب طريقة كل الرئاسات والقوات السمائية

١٠٨ ـ دعنا إذن نتقدم إلى اتهاماتكم، ولنرَ كيف أنك قد تحصل على نعمة عند ديَّانك. أقول لك تكلم الآن، تكلم وقُل: " إنني أعتبرك، أيها المسيح، لست مثل أبيك"، وسوف يجيبك: "لاحظ، أقول لك، لاحظ وقُل لي في أى شيء تظن أنني أختلف (عنه)".

١٠٩ ـ قُل ثانية: " إنني أعتبرك كائناً مخلوقاً"، والمسيح سوف يجيبك: " إن كانت شهادة رُجلين حقاً، أما كان يجب عليك أن تؤمن بي وبأبي، هذا الذي دعاني ابنه؟".

١١٠ ـ سوف تقول: " إنني لا أظن أنك كُلِّى القدرة"، وسوف يجيب بدوره: " وأنا إذن لن أقدر أن أغفر لك خطاياك".

١١٢ ـ أنت تقول: " أنت كائن خاضع تحت سلطان آخر"، ومن ثمَّ سوف يجيب: " فلماذا إذن تبحث عن الحرية والغفران مِن هذا الذي تظن أنه خاضع لغيره مثل عبد؟".

١١٣ ـ إنني أرى أن اتهامك يقف عند هذا الحد، وأنا لن أضغط عليك، نظراً لأنني أنا نفسي أعرف خطاياي. إنني لن أضمر لك عدم الغفران، لأنني أنا نفسي في احتياج أن أنال الغفران، ولكنني أريد أن أعرف هدف صلواتك. انظر، إذاً، بينما أنا

أسرد أمام القاضي رغباتك، إنني لا أظهر خطاياك، ولكنني أتطلّع لأن أشاهد صلواتك ورغباتك مرتَّبة في نسقها الصحيح.

١١٤ ـ أفصح إذن عن تلك الرغبات، والتي يريد الجميع أن تُمنح لهم. " يا سيد، اجعلني على صورة الله" مِن ثمَّ سوف يجيب: "على أى صورة؟ هل على الصورة التي أنت أنكرتها؟".

١١٥ـ " اجعلني على غير فساد"، فإن إجابته سوف تكون بالتأكيد: "كيف يمكن أن أجعلك على غير فساد، أنا الذي تدعوني كائناً مخلوقاً، ومن ثمَّ تستنبط أنني قابل للفساد. إن الأموات سوف يقومون متحررين من الفساد، فهل تطلق عليه أنه قابل للفساد، ذاك الذي هو إله؟".

١١٦ ـ " كُن صالحاً"، " لماذا تطلب لنفسك ما تنكر أنني عليه؟ كنت أتمنى أن تكون صالحاً، وأنا قلت: " تكونون قديسين لأني قدوس" (لا١٩:٢)، وأنت تشرع في نفسك بأن تنكر أنني صالح؟ هل تبحث إذن عن غفران الخطايا؟ كلا، إنه لا يقدر أحد أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده. فإن كنت ترى أنني بالنسبة لك لستُ الإله الحقيقي الوحيد، فإنني لن أقدر أن أغفر لك خطاياك".

١١٧ ـ ثم دع أتباع آريوس وفوتينوس يتكلمون ويقولون: " أنا أنكر لاهوتك"، فيجيبهم الرب: " قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز١٤:١، ٥٣:١). مَنْ تُرى هو المقصود بذلك، هل اليهودي أم الأممي أم الشيطان؟ أيّاً كان المقصود أيها التابع لفوتينوس، فإنه يمكن احتماله لأنه سكت (أى قال في قلبه فقط)، أمّا أنت فمع ذلك تجرَّأت ورفعت صوتك لتنطق بهذا (القول)، حتى يثبت أنك أكثر جهلاً من الجاهل. أنت تنكر لاهوتي رغم أنني قلت: " إنكم آلهة وبنو العلى كلكم" (مز٨٢:٦، يو١٠:٣٤). وأنت تنكر أنني إله، رغم أنك ترى أعمالي الإلهية تحدث حولك".

١١٨ ـ دع أتباع سابيليوس يتكلمون بدورهم: " إنني أعتبر أنك تكون بنفسك مرة الآب ومرة الابن أو الروح القدس". ولهذا يقول الرب: "أنت لم تسمع لا الآب ولا الابن". هل يوجد أى شك بخصوص هذا الأمر؟ إن الكتاب المقدس نفسه يُعلِّمك أن الآب هو الذي يُعطى الدينونة وأن الابن هو الذي يدين (انظر يو٥:٢٢). إنك لم تُعطِ أذُناً لكلماتي: " أنا لست وحدي ولكن أنا والآب الذي أرسلني" (يو٨:١٦، ١٦:٣٢).

١١٩ ـ دع الآن من يتبع مانى يعطى كلمته. " إنني أعتقد أن الشرير هو خالق جسدنا". ولمثل هذا سوف يجيب الرب: " ماذا تفعل الآن في الأماكن السمائية؟ انصرف واذهب في طريقك إلى الذي خلقك. "أريد أن الذين أعطاني يكونون معي". أنت أيها المانوي تنوِّه عن نفسك أنك مخلوق من الشيطان؛ فأسرع إذن إلى

مسكنه، موضع النار والكبريت، حيث النار فيه لا تنطفئ، وحيث العقاب الأبدي لا نهاية له".

١٢٠ ـ إنني أترك جانباً أصحاب الهرطقات الآخرين، لا أشخاصهم ولكن ما سينالونه من توعُّد مريع. أيّ نوع من القضاء ينتظرهم، وما هو شكل الحُكم عليهم؟ إنه في الواقع سوف يقول لكل هؤلاء؛ في أسفٍ أكثر منه في غضبٍ: " يا شعبي، ماذا صنعتُ بك وبماذا أضجرتك؟ ألم أصعدك من مصر وأخرجتك من بيت العبودية إلى الحرية" (ميخا٦:٣و٤، خر٢٠:٢).

١٢١ ـ ولكن ليس كافياً أنه أخرجنا من مصر إلى الحرية، وأنه أنقذنا من بيت العبودية، ولكن (هناك) نعمة أعظم من هذه، أنت قد أعطيتَ ذاتك لنا، وعندئذٍ سوف يقول: أما "حملتُ أحزانكم"؟ (إش٥٣:٤)، أما أعطيت جسدي لكم؟ أما ذقتُ الموت الذي ليس له مكان في لاهوتي ولكنه كان ضرورياً لفدائكم؟ هل هذه هي التشكرات التي آخذها (منكم)؟ أهذا هو ما يتحصَّل عليه دمى، مع أنى تكلَّمت في الأزمنة الماضية بفم النبى: "ما الفائدة من دمى إذا نزلتُ إلى الجحيم" (مز٣٠:٩). هل هذه هي المجازاة أنكم تنكروني بخبث، أنتم الذين لأجلكم احتملت تلك الأشياء"؟

١٢٢ ـ أمَّا من جهتي يا ربى يسوع، فمع أنني عارف في داخلي بخطيئة عظيمة، إلاّ أنني سوف أقول: " أنا لم أنكرك وأنت تغفر لي ضعف جسدي، أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي" (مز٣٢:٥، مز٥١:٣). إن أردت تقدر أن تطهرني (انظر مت٨:٢)، والأبرص بقوله هذا نال غاية رجائه. أتوسل إليك ألاّ تدخل في محاكمة مع عبدك (مز١٤٣:٢)، أسألك ألاّ تحكم عليَّ ولكن أن تغفر لي".

١٢٣ـ أيُّ حكم نتوَّقعه من المسيح؟ هذا أنا أعرفه. هل أقول أيّ حكم سوف يُعطِى؟ كلا، لأنه إنما نطق الحكم مسبقاً، وهو بين أيدينا إذ يقول: " لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب، مَن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله" (يو٥:٢٣).

١٢٤ـ إذا كان الحُكم لا يروق لك، استأنفه لدى الآب، وألغ الحكم الذي أعطاه الآب، وقُل إن له ابناً ليس مثله، وعندئذٍ سوف يجيب: "هل قد كذبتُ وأنا الذي قلتُ للابن: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك١:٢٦).

١٢٥ـ قُل للآب إنه خلق الابن وسوف يجيبك: " لماذا إذن تعبد من تظن أنه كائن مخلوق؟".

١٢٦ـ قل له إنه وَلَد ابناً أدنى منه، وهو سوف يجيب: " قارن بيننا ولننظر".

١٢٧ـ قُل له إنه ليس لك إيمان بالابن، وسوف يجيبك: ألم أقل لك: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ. له اسمعوا" (مت١٧:٥). ماذا تعنى هذه الكلمات: " له اسمعوا" سوى أن تسمعه وهو يقول: " كل ما هو للآب هو لي" (يو١٦:١٥، ١٧:١٠)؟. إن هذا ما سمعه الرسل كما هو مكتوب: " ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً" (مت١٧:٦). فإن كان الذين اعترفوا به سقطوا على الأرض، فماذا يعمل للذين ينكرونه؟ أماّ يسوع فوضع يده على الرسل وأقامهم، أما أنت فسوف يتركك منبطحاً على وجهك حتى لا ترى المجد الذي أنكرته.

١٢٨ ـ فلنهتم إذن لهذا، لأن من يدينه الابن فالآب يدينه أيضاً، لذلك يجب علينا أن نكرم الابن كما نكرم الآب، حتى يمكننا أن نأتي إلى الآب بواسطة الابن.

١٢٩ـ يا صاحب الجلالة، إن هذه الحجج والبراهين قد نسَّقتُها باختصار وبتلخيص وبشكل تقريبي وليس كشرح كامل ونظام دقيق. وإن كان الآريوسيون يعتبرونها غير كاملة وغير تامة، فأنا اعتبر أنها تكاد تكون بداءة، وإن كانوا يظنون أنه يوجد ما يجب تقديمه، فأنا أسلِّم بهذا. فبينما غير المؤمنين في احتياج شديد للبراهين، فإن المؤمنين عندهم ما يكفى ويزيد. إن اعتراف بطرس كان في الواقع كافياً ليكفل لنا الإيمان بالمسيح: " أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت١٦:١٦، مر٨:٢٩)، لأنه يكفى أن تعرف ميلاده الإلهي بدون تقسيم أو إنقاص، وهو ليس نتيجة اشتقاق أو خلق[١].

١٣٠ـ وهذا في الواقع قد أعلِن في كل الكتب المقدسة، ومع ذلك فإن غير المؤمنين لا يزالون يَشُكُّون: " لأنه كما هو مكتوب: قلب هذا الشعب غلظ، وبآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها، لئلا يبصروا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم" (إش٦:١٠، أع٢٨:٢٧و٢٨). فالآريوسيون مثل اليهود اعتادوا أن يصدُّوا آذانهم (عن أن تسمع)، وأن يصنعوا ضجيجاً كثيراً للتشويش على كلمة الخلاص.

١٣١ـ وما العجب (في هذا) إن كان غير المؤمنين يُشُكُّون في كلمة الإنسان، عندما يرفضون أن يؤمنوا بكلمة الله؟ سوف تجد مكتوباً في الإنجيل إن ابن الله قال: " أيها الآب مجد اسمك"، وسُمع صوت من السماء يقول: " مجَّدتُ وأمجِّد أيضاً" (يو١٢:٢٨)، وهذه الكلمات سمعها غير المؤمنين ولكن لم يؤمنوا. الابن تكلّم والآب أجاب واليهود قالوا:" دَوىّ رعد قد كلَّمه، وآخرون قالوا قد كلمه ملاك" (يو١٢:٢٩).

١٣٢ـ وعلاوة على ذلك، فإن القديس بولس عندما تسلَّم من صوت المسيح دعوة النعمة، كما هو مكتوب في سفر الأعمال (أع٢٢:٩)، فإنه رغم أن عدداً من رفقائه كانوا مسافرين معه في نفس الوقت، فقد قيل إنه بمفرده سمع صوت المسيح، لذلك

يا صاحب الجلالة المُبجّل، فإن الذي يؤمن يسمع، وهو يسمع لكى يؤمن، بينما الذى لا يؤمن فإنه لا يسمع، وهو لن يسمع بل لا يمكنه أن يسمع إن لم يؤمن!.

١٣٣ ـ أمّا بالنسبة لي، ففي الواقع أريد أن تكون لهم رغبة في الاستماع لعلهم يؤمنون، أن يسمعوا بمحبة حقيقية ووداعة، مثل أناس يبحثون عما هو حق، ولا يهاجمون كل ما هو حق؛ لأنه مكتوب (علينا) ألاّ نصغي إلى " خرافات وأنساب لا حدّ لها، والتي بالأحرى تسبّب مباحثات دون أن تؤدى إلى التعليم الإلهي الذي في الإيمان. أمّا غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء، الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل، يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون الكلمات التي يقولوها ولا الأشياء التي يتكلمون عنها بتأكيد (ولا ما يقرِّرونه)" (١تى١: ٤ـ٧). وفي موضع آخر يقول أيضاً نفس الرسول: " أما المباحثات الغبيَّة والسخيفة اجتنبها" (٢تى٢: ٢٣).

١٣٤ـ مثل هؤلاء الناس الذين يزرعون خصومات، أقصد الهراطقة، فإن الرسول يأمرنا أن نتركهم ونبتعد عنهم. إذ يقول عنهم في موضع آخر: " يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مُضِلَّة وتعاليم شياطين" (١تى٤: ١).

١٣٥ ـ والقديس يوحنا بالمِثل يقول إن الهراطقة هم أضداد للمسيح (١يو٢: ١٨) مشيراً بوضوح إلى الآريوسيين، لأن هذه الهرطقة قد بدأت أن توجد بعد جميع الهرطقات الأخرى، وقد جمعت سموم الكل، كما هو مكتوب عن ضد المسيح أنه: " فتح فمه بالتجديف على الله، ليجدِّف على اسمه... وأن يصنع حرباً مع قديسيه" (رؤ١٣: ٦و٧). وهكذا هم لا يكرمون ابن الله، كما لم يشفقوا على شهدائه، وربما (عملوا) ما لم يعمله ضد المسيح، فإنهم زوَّروا الكتب المقدسة، وهكذا من يقول إن يسوع ليس هو المسيح؛ ومن ينكر الابن ينكر الآب أيضاً كما هو مكتوب: " كل من ينكر الابن ينكر الآب أيضاً" (١يو٢: ٢٣).

١٣٦ـ لا ينبغي أن أعوِّق جلالتك أيها الإمبراطور، أكثر من هذا وأنت تستعد لهذه الحرب ليتم انتصارك على البرابرة. اذهب وأنتَ في حماية درع الإيمان، وتمنطق بسيف الروح. اذهب إلى النصرة التي تم الوعد بها منذ قديم الزمن، والتي أنبئ عنها في الوحي الذي أعطاه الله.

١٣٧ ـ لقد تنبأ حزقيال في الأيام القديمة جداً عما سيحط من قدر شعبنا وعن الحروب مع الغوط البرابرة بقوله: " لذلك تنبأ يا ابن الإنسان وقُل يا جوج هكذا يقول الرب: أفلاَ تعلم في ذلك اليوم عند سُكنى شعبي إسرائيل آمنين، وتأتى من موضعك من أقصى الشمال، أنتَ وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون معك، كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجيش كثير؟ وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تُغشِّى الأرض في الأيام الأخيرة" (حز٣٨: ١٤ـ١٦س).

١٣٨ـ إن الغوط Goth هم جوج Gog، وإن مجيئهم قد سبق وذكرناه، أمَّا عن الانتصار الذي وُعد به عليهم في الأيام الآتية بحسب كلمة الرب فهو: " وينهبون الذين نهبوهم، ويسلبون الذين سلبوهم يقول السيد الرب، ويكون في ذلك اليوم أني أعطى جوجاً ـ أي الغوط ـ موضعاً شهيراً، لأن إسرائيل تكون مثل كومة عالية لأناس كثيرين[٢]، أناس قد جعلوا طريقهم إلى البحر... ويسدُّون فم الوادي، وهناك يخرِّب بيت إسرائيل جوجاً وجمهوره ويسمونه وادي جمهور جوج، ويحدق[٣] بهم بيت إسرائيل ليُطهِّروا الأرض" (حز ٣٩: ١٠-١٢س).

١٣٩ـ وعلاوة على ذلك، فلن نشك يا صاحب الجلالة المقدس، أننا نحن الذين أخذنا على عاتقنا أن نناضل ضد الكفر المخالف سوف نتمتع بمساعدة الإيمان الجامع Catholic Faith الذي هو قويٌّ فيك. وحقاً وبوضوح فإن سبب غضب الله قد صار ظاهراً، لدرجة أن تقدير الإمبراطورية الرومانية واحترامها قد هُدِمَ عندما انهار الإيمان بالله.

١٤٠ـ لا توجد لدىَّ رغبة في أن أحصى الذين ماتوا والذين عُذبوا والمعترفين الذين نُفوا، كما أن وظائف المؤمنين ومراكزهم أعطِيَتْ هدايا للخائنين[٤]. ألم تسمع مِن وراء كل التخوم والحدود، مِن تراسا وراكيا التي على النهر وميسيا وكل فاليريا ضوضاء مشوبة بتعاليم المجدفين وغزو البرابرة؟ أى فائدة يمكن للجيران المتعطشين للدماء أن يجلبوها لنا، أو كيف يمكن للدولة الرومانية أن تكون في أمان مع مثل هؤلاء المدافعين؟

١٤١ـ نعم، هذا يكفى بل وأكثر من الكفاية أيها الإله القادر على كل شيء، ما ضحَّينا به وقدَّمناه من موت المعترفين ونفى الكهنة واحتمال الأشرار المتعجرفين، كل ما قدمناه بدمنا وبنفينا. إنه من الواضح بصورة كافية أن هؤلاء الذين حطموا الإيمان لم يكونوا في أمان. التفِت مرة أخرى أيها الرب وارفع رايات الإيمان بك.

١٤٢ـ إنها ليست النسور الحربية ولا طيران الطيور هي التي تقود طلائع جيشنا، ولكن اسمك وعبادتك أيها الرب يسوع. إنها ليست أرض غير المؤمنين ولكنها الأرض التي من عادتها أن تُرسل المعترفين؛ إيطاليا. إيطاليا هذه التي كثيراً ما جُرِّبت وأغويَت ولكنها لم تنسحب أبداً. إيطاليا هذه التي دافعتَ عنها طويلاً يا صاحب الجلالة والآن أيضاً قد أنقِذَت من البرابرة. لا يوجد في إمبراطورنا عقل متردد أو متذبذب، بل يوجد الإيمان الثابت الراسخ بقوة.

١٤٣ـ أظهر لنا الآن علامة واضحة على عظمة جلالك، حتى أن كل مَن يؤمِن بك أنك رب القوات الحقيقي وقائد جيوش السماء؛ ويؤمِن أنك أنت قوة الله وحكمته الحقيقية[٥]، ليس كائناً ناشئاً في الزمن، ليس كائناً مخلوقاً، بل كما هو مكتوب،

القوة الأزلية، وألوهية الله، أنت أيها الرب تسند بقوتك الفائقة لتجعله ينال جائزة النصر لإيمانك.

أنتهى

بصلاوات ابينا القديس امبروسيوس ايها الرب يسوع المسيح ألهنا و مخلصنا ارحمنا

www.servant4jesus.co.nr

حواشى الكتاب الأول

[١] ١مل١٠:١ " وسمعت ملكة سَبَا بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل ".
[٢] ١مل٥:١ " وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان .. " .
[٣] تك١٤:١٤ " فلما سمع أبرام أن أخاه سُبى، جرَّ غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وتبعهم.." .
[٤] إن شكل علامة الصليب هى مثل حرفt ، والرقم العددي لهذا الحرف (تاو tau) في الحساب اليوناني هو رقم ٣٠٠، أما الثمانية عشر فيُرمز له بالحرفين h , I وهما الحرفان الأوَّلان للاسم يسوع باليوناني IhsoÚj، لهذا فإنه يُعزى للقديس أمبروسيوس نسبة القوة السرية للرقم ٣١٨، المرموز له بعلامة الصليب والحرفان الأولان لاسم المخلص، فيكون الرقم ٣١٨ هو التعبير عن T I H صليب يسوع المسيح.
[٥] يش٦:٦ " فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم: احملوا تابوت العهد، وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب".
[٦] يش٥:١٣،١٤ " وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده، فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا، فقال كلاَّ بل أنا رئيس جند الرب" .
[٧] يقصد شواهد من الكتب المقدسة.
[٨] يتكلم القديس أمبروسيوس هنا عن المجمع المسكونى المنعقد فى نيقية فى بيثينية عام ٣٢٥م.
[٩] إن النصرة على الكفر يُقصد بها طبعاً نصر الكنيسة الأرثوذكسية على الآريوسية، وأصبح القانون النيقاوى يُنظر إليه مثل " نصب " لتذكار النصرة، والتى تمثلت حقيقتها فى البلوغ إلى العبارة : (من نفس جوهر الآب ÐmooÚsiou tù Patr. Of one substance with the Father...) والتى أقرها المجمع.
[١] حرفياً: الأمم " Gentes - t¦ œqnh - The Nations " . إن الرومان في الجمهورية تعوَّدوا أن يتكلموا عن الشعوب الغريبة خصوصاً إذا كانوا يخضعون لملوك " أمم خارجيةexterae - Gentes " للتمييز عن " شعب الجمهورية Populus Romanus ". القديس أمبروسيوس يقصد هنا بلا شك أولئك الذين لا يزالون يتمسكون بالديانات القديمة، الذين هم غرباء عن جمهور الكنيسة.
[٢] كان سابيليوس قساً في برقة في الخمس مدن الغربية في ليبيا، ومنها أتى إلى روما حيث جاهر بتعاليمه الكفرية في أوائل القرن الثالث الميلادى (حوالى ٢١٠م). كان سابيليوس يعتقد أنه لا يوجد تمييز حقيقى بين

أقانيم اللاهوت، ويقول إن الله هو أقنوم (شخص) واحد، وعندما يكون الكلام عن أقانيم إلهية متميزة عن بعضها، فهذا لا يعنى عنده أكثر من أوجه أو ظهورات مختلفة، أى أن نفس الأقنوم يقوم بأدوار مختلفة. فالآب يقوم بدور الابن عند التجسد، وهو نفسه يظهر بعد ذلك باسم الروح القدس.

[٣] كان فوتينوس من أهل غلاطية على سيرميم Sirmium (في سلافونيا Slavonia) في القرن الرابع، وهو يعلّم أن يسوع المسيح لم يوجد قبل أمه مريم، ولكنه وُلد منها ومن يوسف النجار، وهذا الإنسان يسوع الذي عاش بروح عاقلة وجسد بشرى استنار وأرشد واقتيد بتأثير اللوغوس أو العقل الإلهى، وبذلك فإنه صار ابن الله الفائق على جميع الأنبياء والمعلمين.

[٤] كان آريوس كاهناً بالأسكندرية، وبدأ في عام ٣١٩م في جذب الانتباه بتعليمه الهرطوقى المخالف، والذي أودى به ـ نتيجة لذلك ـ إلى حرمه، إلاّ أنه وجد استحساناً وقبولاً لدى أشخاص لهم حيثيات في الكنيسة مثل يوسابيوس القيصرى في فلسطين، ويوسابيوس أسقف نيقوميدية، وآخرين. وقد نوقشت هرطقته في النهاية في مجمع نيقيا المسكونى بناءً على دعوة من الإمبراطور قسطنطين. أدان المجمع البدعة الآريوسية وشجبها، ومع ذلك فقد تفشت الهرطقة في الشرق حتى حكم ثيئودوسيوس الكبير (٣٧٩-٣٩٥م).

كان آريوس ينادى بما يلى: " إما أن الابن له جوهر أصلى إلهى؛ وإن كان هكذا فإنه يجب علينا أن نعترف بإلهين، أو أنه يكون مخلوقاً، وإن كان هكذا فإنه ليس إلهاً بنفس المعنى الذي به يكون الآب إلهاً. وقد اختار آريوس البديل الأخير، هذا الذي اعتبره القديس أمبروسيوس سقوطاً في الوثنية بـ" آلهتها المتعددة وأربابها المتعددة " والآلهة المولود من الآلهة والإلاهات .

إن أخطاء آريوس قد لُخصت في الحرومات التى ألحقت بالقانون النيقاوى الأصلى: إن أولئك الذين يقولون إنه كان يوجد زمان لم يكن فيه ابن الله موجوداً، أو انه تكوّن من أشياء غير موجودة، أو أن الذي يزعم أن ابن الله من جوهر مختلف أو أنه مخلوق، أو متغير، فإن جميع هؤلاء تشجبهم وتحرمهم كنيسة الله الرسولية الجامعة"

[١] مز ٦٩:٩ قارن يو٢:١٧
[٢] انظر يو١٥:١٦
[٣] انظر يو١٦:٢٣، ٢٤
[٤] انظر يو٥:٣٠
[٥] يو١:٣، عب٥:٧-١٠.
[٦] انظر على سبيل المثال مز٢٥:٨ ، إر١٠:١٠، دا٩:٩،١٠، يع١:١٧،١٨، لو١١:٣٧.
[٧] انظر دا ٩:٧، خر٣٤:٦
[٨] انظر يو١:١، يو١:١٤، رو١:٤، مت٢٨:١٨، ١كو١:٢٤، كو٢:٣
[٩] الوالد والمولود يلزم أن يتميزا كل واحد منهما بشخصه.
[١٠] كو١:١٩، كو٢:٩
[١١] أع ٤:٣٢
[١٢] تك٢:٢٤، مت ١٩:٥
[١٣] أع١٧:٢٦
[١] أو رب الجنود كما في إش٦:٣
[٢] إش٤٥:١٨
[٣] أو يهوه في يهوه
[٤] قانون إيمان نيقية: إله حق من إله حق
[٥] وهو المزمور ٤٥ ترجمة دار الكتاب المقدس
[٦] يلزم أن نتذكر أن القديس أمبروسيوس كان حاكماً مدنياً من قبل توليه منصب الأسقفية، لذلك فإن فكره يميل إلى أن ينظر إلى الأمور من وجهة نظر قانونية شرعية.
[٧] سفر باروخ ٣:٣٦-٣٨، الأصل الإنجليزي متروك بدون شاهد، لأنه بينما الشاهد هو سفر باروخ، إلاّ أنه فى الحديث يقول: "يتكلم فى سفر إرميا"، ولكن فى حاشية أخرى للفقرة ٣٠ يذكر الشاهد باروخ٣:٣٦-٣٨.
[٨] المقصود بهذا القروى إرميا النبى (انظر إرميا ٢٤)
[٩] ١كو ١:٢٧
[١٠] الله معروف في اليهودية: انظر مزمور ٧٦:١ ولكنهم ينكرون الابن، ولذلك فإنهم لا يعرفون الآب (انظر متى١٦:٢٧، يو١:١٨).
[١] راجع: يو٤:٢٤ ، ٢كو ٣:١٧
[٢] فيلبى ٢:٧
[٣] رؤ١:١٦ ، ٢٢:١٦ ـ عدد ٢٤:١٧.
[٤] دا ٣:١٧.

[٥] دا ٣:٢٢.
[٦] هوشع١٤:٥.
[٧] دا ٣:٢٨.
[٨] لو٢٢:٤٣.
[٩] دا ٣:٢٥.
[١] يكون إهانة من حيث افتراض أن الإنسان نغل، أي ليس ابناً شرعياً بل ابن زنا.
[٢] إن تعليم آريوس بخصوص هذا الموضوع قد بيَّنه القديس أثناسيوس بما فيه الكفاية، فيقول آريوس: " عندما قصد الله أن يوجِد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على أن تحتمل لمسة يد الآب المباشرة وعمله، لذلك "خلق وصنع كائناً واحداً مفرداً وسماه "ابن" و"كلمة" لكى عن طريقه كوسيط، فإن كل الأشياء يؤتي بها إلى الوجود" (ضد الآريوسيين ٢:٢٤)
[٣] بحسب ما يقول الآريوسيون فإن المسيح ليس إلهاً حقاً حتى لو كان قد دُعِى إلهاً. إنه يُدعى هكذا فقط بسبب انتقال النعمة إليه من الآب، وهكذا فإنه حصل على هذا اللقب والكرامة، باستخدام اسم الله (له) عند التكلم عنه بنوع من التحويل، كما نجد ذلك في مز ٨٢:٦ :" أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم"، رغم أن ادعاء المسيح وحقه في هذا اللقب إنما يفوق أي كائن آخر.
[٤] عدد ٢٣:١٩
[٥] قارن ١كو ٢٠:٢٠ مع ١كو٢:٤و٥:" وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله".
[١] كان أونوميوس فى وقت ما أسقفاً على سيزيكوس Cyzicus، واشتهر عام ٣٥٥م، وعلّم ـ مثل آريوس أن الابن مخلوق، مع أنه أول وأكمل مخلوقات الله، وعمله هو أن يرشد الخلائق الأخرى إلى معرفة مصدر وجودهم. فالدين إذن من وجهة نظره يتكون من فهم عقلى كامل لمبدأ فائق للطبيعة وليس أكثر من هذا، واعتبر أن ميلاد الابن حدث فى الزمن وليس قبل الزمن. أمّا النقطة التي ذهب بها أونوميوس أبعد من آريوس فكانت هى إثبات إمكانية إدراك العقل البشرى للجوهر الإلهى، وقال إن أولئك الذين يُصرِّحون بأن الله فى جوهره لا يُدرَك بالعقل، والذين يُعلّمون أنه إنما يُعرف جزئياً وبعلامات ودلائل، إنما هم يُعلّمون (الناس) إلهاً غير معروف، وينكرون كل معرفة ممكنة لله، ولذلك حيث إنه بدون معرفة الله لا يمكن أن توجد مسيحية، فهؤلاء لا يستخدمون أيضاً اسم مسيحيين.
[٢] كان إتيوس هو معلم أونوميوس وأصبح أسقفاً على إنطاكية، الكرسى الذى ضُمن له بواسطة الآريوسي أودوكسيوس Eudoxius والذى تمكن من الحصول على (كرسى) سيزيكوس لأونوميوس. وعلى أي حال فإن كلاً من إتيوس وأونوميوس قد عُزلا حوالى عام ٣٦٠م.
[٣] كان ديموفيلوس أسقفاً على القسطنطينية أيام الإمبراطور فالنس (٣٧٨م)، ولكن عند تبوّأ الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، فإنه اضطر إلى ترك كرسيه، الذى أعطى إلى غريغوريوس النزينزى.
[٤] ١كو١:١٣.
[٥] يرى هيراكلس Hercules أنه من المستحيل قتل الطحلب الهدرا (نوع من أنواع ثعابين البحر الغريبة والضخمة) الموجود فى المستنقعات الليرنية Lernean marshes بمجرد ضربها فقط على الرأس، من حيث إنه حتى إذا قُطع جزء منها، فإن اثنين ينميان مكانه للتو، لذلك يصبح من اللازم تجفيف الجرح بالنار، كما أنه يوجد واحد من رؤوسها دون أن يموت، ويقول هيراكلس إنه يمكن التخلص منه فقط بسحقه تحت صخرة كبيرة
[١] المقصود بنوته للآب، وهنا يشير القديس أمبروسيوس إلى كولوسى١:١٥.
[٢] قارن يوحنا١٢:٤٥ " والذى يرانى يرى الذى أرسلنى".
[٣] إن بهاء أو ضياء أي جسم يظل موجوداً طالما أن هذا الجسم موجود؛ ولأن الآب أزلى فالابن الذى هو بهاؤه يجب أن يكون هو أزلياً أيضاً.
[٤] انظر يو١٤:٩-١٠.
[٥] أو من يرى الآب فى الابن يراه كما فى صورة شخصية Portrait.
[٦] المسيح هو : الحق : يو١٤:٦؛ البر: إر٣٣،١٦، إر٢٣:٦، ١كو١:٣٠؛ قوة الله: ١كو١:٢٤.
[٧] المسيح هو: الكلمة: انظر يو١:١-١٨؛ الحكمة: ١كو١:٢٤، ١كو١:٣٠؛ القيامة والحياة: يو١١:٢٥.
[٨] يقصد الآب .
[٩] يقصد الابن .
[١] يقصد القديس يوحنا الرسول لأنه كان صياداً للسمك.
[٢] السابيلية تضعف التمييز بين الأقانيم الثلاثة في اللاهوت، وتجعله مجرد تمييز أشكال متعددة لنفس الشخص. إنهم لا يقسمون الجوهر ولكنهم خلطوا الأقانيم.

www.servant4jesus.co.nr

[٣] كان أونوميوس معلّماً وقائداً آريوسياً، والبرهان والحُجَّة المبسوطتان ضده هنا مِن المناسب أن توجه أيضاً ضد آريوس نفسه.
[١] فكيف تتعامل مع مثل هذه الشواهد: " أنت أنت وسنوك لن تفنى"، " أنا هو الرب، أنا لا أتغير، فأنتم يا أبناء يعقوب لن تهلكوا"، " أبى الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران".
[٢] يو٥:٢٣
[١] مز١٣٩:٦: " عجيبة هذه المعرفة فوقى، ارتَفَعَتْ لا أستطيعها".
[٢] قارن إشعياء٦:٥.
٢[٣] كو١٢:٢-٥.
[٤] قد يكون الشاهد هنا هو إش٤٩:٥س " والآن قال الرب جابلى من الرحم (البطن)".
١[٥] صم١٣:١٤ " .. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه .." .
[٦] مز٩٧:٢ " أحيَت (خلَّصت) له يمينه وذراعه القدوسة .. ".
[٧] مز٢٧:٩ " لا تحجب وجهك عنى .." .
[٨] أي دون أن يعتريه أي تغيير فى نفسه.
[٩] يو٥:٢٠ " لأن الآب يحب الابن ".
[١٠] انظر مت٣:١٧، مر١:١١، لو٣:٢٢.
[١١] انظر يو٥:٢٢و٢٣، يو٣:٣٥، يو١٧:١و٢و٥.
[١٢] انظر لو٢٣:٣٦و٣٧.
[١] انظر عب١:٣
[٢] انظر دا٣:٢٥.
[٣] تك١٨:١-٣.
[٤] مت١٧:٦-٨.
[٥] مت١٧:٧.
[٦] خر٣:١٤.
[٧] أع٧:٣٨.
[٨] المقصود بهذا الكلام أن الوثنيين يعبدون آلهة غير حقيقية، ولكنهم على الأقل لديهم الاحتشام والتوقير ليعتبروها فى درجة أعلى من المخلوقات البشرية، ولا ينقصون بعناد من قدرها
[١] كو١:١٥.
[٢] يو١:١٤.
[٣] النعمة التي يتكلم عنها القديس أمبروسيوس هى نعمة التبنى. إن يسوع المسيح هو ابن الله "بالطبيعة" (fÚsi) أمّا نحن فأبناء الله "بالتبنى" (uƒoqes...v).
[٤] وانظر مت٢٧:٤٦، مر١٥:٢٤
[١] أع٢:٣٦، وقارن ١يو٤:٣
[٢] أم٨:٢٢س وفي العبرية: " الله قنانى".
[٣] مز٢٢:١٢، قارن مت٢٧:٣٦، لو٢٣:٣٥.
[٤] مز٢٢:١٨، قارن مت٣٧:٣٥، مر١٥:٢٤، لو٢٣:٣٤، يو١٩:٢٣، ٢٤.
[٥] إش٤٥:١١س، أما بحسب الترجمة العبرية فإن النص هو: " اسألوني عن الآتيات"
[١] مز٣٣:٩، مز١٤٨:٥.
[٢] عد١٤:٢١ " ولكن حيٌّ أنا فتُملأ كل الأرض من مجد الرب".
[٣] مز٧٢:١٩ " ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده"؛ إش٦:٣ " وهذا نادي ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض"؛ زك١٤:٩ " ويكون الرب ملكاً على كل الأرض، في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده
[١] يو١٤:٦.
[٢] انظر يو١٠:٣٠.
[٣] انظر يو٥:١٩و٢١.
[٤] انظر مت١٤:٣٣.
[٥] انظر يو١٢:٤١.
[١] يقصد القديس أمبروسيوس أن كُفر الآريوسيين يحاولون أن يخفوا حقيقته، تماماً كما تحاول النسوة إخفاء حقيقة وجوههن باستخدام الأصباغ والدهانات للوجه، هذه الأمور التي كانت منتشرة في الشرق وانتقلت إلى اليونان (اقرأ عن إيزابل عندما كحلت بالأثمد عينيها ٢مل٩:٣٠ وأيضاً حز٢٣:٤٠).

[٢] يتبع القديس هنا ما هو جارٍ في سجلات مجلس الشيوخ في القديم، عندما كان يُصمت عن ذكر شخص ما، وتُسقط الكتابة عنه، ويُفهم أن سبب الإبعاد غالباً ما يكون تدنياً أخلاقياً خطيراً. هكذا بالمثل لا يُذكر آريوس أو الآريوسية صراحة بالاسم، حتى لا تُدان بشكل صريح.
[٣] انظر الفصلين الثالث والخامس.
[٤] انظر مت١٨:٢٠.
[٥] انظر الفصلين الثالث والخامس.
[٦] عُقد مجمع أرمينيوم عام ٣٥٩م إبان حكم الإمبراطور قنسطنطيوس، وحضره أكثر من أربعمائة أسقف، وهؤلاء أعلموا الإمبراطور أنهم مصمِّمون على ألاّ يسمحوا بأي تغيير بخصوص ما قُرِّر في مجمع نيقية، وهذا هو المعروف بـ " الإقرار الأول ". ولكن مع ذلك فإن هذا الإقرار لم يُحافظ عليه طويلاً، لأن الأساقفة، إلى حدٍّ ما، بسبب إرهاب الإمبراطور، وجزئياً بسبب أنهم خُدعوا من الآريوسيين، فإنهم وافقوا على أن يحذفوا الكلمات: " طبيعة Substance" و" من نفس الجوهر Consubstantial"، ولكن بعد هذا كان "التصحيح" والذي يسميه القديس أمبروسيوس "الثاني"، والذي تمَّ إما بأولئك الأساقفة الذين إذ عرفوا خطأهم سحبوا قرارات المجمع الذي عُقد في أرمينيوم، أو بواسطة المجامع التي تلته، وبالتحديد مجامع الأسكندرية (الذي ترأسه القديس أثناسيوس) وباريس (٣٦٢م) وروما (الذي ترأسه داماسوس عام ٣٦٩م).
[١] أع١:١٨. يبدو أن آريوس انتابته إصابة مرعبة بالكوليرا أو بميكروب من نفس النوع. انظر:
Newman, Arians of the Fourth century chII:2 & Robertson, History of The Christian Church: vol. I, pp 301-2, ed. 1875.
[٢] كو١:١٧ " فيه يقوم الكل ".
[٣] مز٤٥:١س "فاض قلبى بكلام صالح"
[٤] غل٤:٤-٥ "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه: مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى".
[٥] انظر يو٨:١٤
[٦] انظر ١يو٢:٢٣
[٧] قارن خر٣:١٤ " أهيه الذي أهيه" أي "أكون الذي أكون" مع ملا٣:٦ " أنا الرب لا أتغيَّر"، حيث يجمعهما القديس أمبروسيوس في تعبير واحد
[١] مز٣٩:١و٢، ١٤١:٣و٤.
[٢] يقابل القديس أمبروسيوس ظهور السيرافيم لإشعياء بظهور الرب للناس في الجسد في حياتهم اليومية، انظر إش٦:٦و٧، ١تي٣:١٦.
[٣] يقصد بهذا، أنه غير متوفر في الطقس الموسوي، وأيضاً لا يختص بالخليقة القديمة، وإنما هو عربون وسبق للجديد (رؤ٢١:٥) " وقال الجالس على العرش، ها أنا أصنع كل شئ جديداً".
[٤] انظر يو٦:٣٢ و ٥٠-٥١.
[٥] قض٩:١٣ " فقالت لها الكرمة أ أترك مسطاري (خمرى) الذي يُفرِّح الله والناس".
[٦] انظر مت١٩:٢١ " اذهب وبع أملاكك ... وتعال اتبعني".
[٧] انظر كو١:١٥و١٦.

حواشى الكتاب الثانى

[١] يو١:١٤و١٨، عب١:٥، رو٩:٥، ١:٣-٤، يو١:١-٣، ١٤.
[٢] عب١:٣، انظر يو١٤:٩، كو١:١٥.
١[٣] كو١:٢٤، انظر يو١٤:٦، ١١:٢٥.
[٤] انظر خر٣:١٤ " أهيه الذي أهيه " أي أكون الذي أكون.
[٥] انظر يو٨:٤٢، ١٦:٢٧-٢٨.
[٦] انظر عب١:٣.
[٧] انظر يو١٤:٦، ١٧:٣، ١يو٥:٢٠.
[٨] انظر تث٥:٢٦ " مَنْ.. سمع صوت الله الحي يتكلم.. وعاش". انظر يو١١:٢٥.
[٩] انظر خر٢٨:١٥-٢١.
[١٠] انظر عب٤:١٥، ٥:١-٥، ٧:٢٨، ٨:٧.
[١١] انظر عب١:٣.
[١٢] يُرجع القديس أمبروسيوس الشاهد إلى أيوب٣٨:٣٦، بحسب الترجمة السبعينية.
[١٣] خر٣٥:٢٧.

www.servant4jesus.co.nr

[١٤] يتبع القديس أمبروسيوس النسخة السبعينية (أم٣١:٢١(٢٢).
[١٥] انظر سفر الخروج٢٨:٣٣،٣٤، وأيضًا ٢٨:٥،٦.
[١٦] هذه الألوان استُخدمت في صُنع إفود الكاهن الأعظم (خر٢٨:٥و٦) وصُنع حجاب الهيكل.
[١٧] هذه هي نظرية بعض الفلاسفة الأيونيين.
[١٨] انظر يع٢:١٤-٢٦.
[١٩] أي ابنًا "بالتبني" كواحد منّا.
[٢٠] انظر مر١٠:١٨.
[١] الابن موجود " في طبيعة الله " بسبب أن صفة أبوة الله الأزلية تتضمن وجود ابن أزلي وحبه الأزلي هو الغاية الأزلية
[١] مز١٣:٦ " لأنه أحسن إلىَّ" ، خر١٤.
[٢] خر١٧:٦، عد٢٠:٨و١١.
[٣] خر١٦:١٢، تث٨:٣و٤، تث٢٩:٥، مز٧٨:٢٤و٢٥، مز١٠٥:٤٠، يو٦:٣١، ١كو١٠:٣.
[٤] قارن مت١٣:٤٣، دا ١٢:٣، إن تألق هذه الجوقات السماوية هو إنعكاس لذاك الذي هو نور العالم، النور الحقيقي، انظر يو١:٩، ٨:١٢، ١٢:٤٦، رؤ٢١:٢٣، ٢٢:٥.
[٥] مز١١٨:١، ١٣٦:١، ١٠٦:١، ١٠٧:١.
[٦] القياس المنطقي للقديس أمبروسيوس يظهر كالتالي: " إن القاضي هو الإله العادل، وابن الله هو القاضي، إذن يكون ابن الله هو الإله العادل".
[٧] يو٧:١٢.
[١] انظر ١كو٨:٤.
[٢] انظر يو١٧:٢٢و٢٣
[١] راجع الكتاب الأول الفصل الأول.
[٢] لا يستخرج أي شك من المقطع التالي بسبب أن :
١ ـ معنى العبارات واضح وبسيط ٢ ـ والآيات المقتبسة هي من الكتاب الموحى به.
[٣] إش٥٢:٦س، والقراءة في ترجمة دار الكتاب المقدس: " لذلك يعرف شعبي اسمي، لذلك في ذلك اليوم يعرفون أنِّي أنا هو المتكلم هأنذا ".
[١] أى٣٨:٤-٦ " أين كنتَ حين أسستُ الأرض.. مَن وضع قياسها.. على أى شيء قرَّت قواعدها..".
[٢] كو١:١٥و١٦.
[٣] أى الطبيعة البشرية.
[٤] انظر الكتاب الأول فقرة ٥٧.
[١] إن نفس الكلمة ـ في اللغة اليونانية على الأقل ـ تُعطِى نفس معنى (ريح) و(روح). فالهواء غير المرئي ومع ذلك فهو محسوس وحقيقي، والريح، والنَفس يمكن أن تكون أفضل رمز للروح، الذي يُعرف ويُحقق حضوره فقط من خلال آثاره. والروح في معناه الأوَّلى هو "نسمة".
[١] إنه تعليم جميل جداً للآباء أن المسيح أخضع ذاته لظروف وتجارب حياتنا كي يعيدها ويقدِّسها ويمدها بفاعلية استحقاقاته، وكان الآباء حريصون أن ينسبوا لكلمة الله المتجسد ليس فقط الأجزاء الطبيعية في الجسد والنفس، بل وحتى أصغر الأشياء والخاصة جداً مثل: الحزن، الخوف، الدموع؛ وكذلك جميع المشاعر البشرية: الحَمْل، الميلاد، الطفولة؛ وجميع مراحل الحياة والنمو: الجوع والعطش، التعب والحزن ـ كي يجد علاجاً لكل ما زحفت إليه الخطية. وكما أفسد الموت الكل، هكذا يلزم أن يُرش ماء الحياة. ويقول القديس غريغوريوس النزينزى بطريقة مُلفتة للنظر: " لقد نام حقاً ليبارك نومنا، وتعب ليقدِّس تعبنا، وبكى ليكرِّم الدموع". ويقول القديس كيرلس الكبير في شرح (يو١٢:٢٧): " سوف تجد كل أنواع الاختبارات البشرية ممثلة كما يجب في المسيح، وأن المشاعر الجسدية قد تسربلت بالقوة، ولكن ليس مثلنا، لكي تحصل على السلطة والسيادة والاستعلاء. ولكن بقوة الكلمة الساكن في الجسد يمكن لهذه المشاعر أن تُذلَّل وتُضبَط، وتتحوَّل طبيعتنا إلى حالة أفضل.
[٢] يعدد ذلك أريستوتل في الأخلاقيات (Aristotle, Ethics II. Ch. 4 (5.
[٣] يستخدم القديس أمبروسيوس هنا معنى للنص الأصلى مُلفت للنظر حيث يقول النص: " ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد".
[٤] انظر ١كو٢:٨.
[١] لأنه إن كان الأمر هكذا، فإن الله يتوقف عن أن يكون إلهاً.
[٢] كو٢:٩: فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت.
[٣] يريد القديس أمبروسيوس أن يقول إن المسيح تألم ومات بالجسد وإنه نال معونة كإنسان وقت آلامه، كما ذكر الإنجيل أن ملاكاً من السماء ظهر له ليقويه وهو في بستان جسثيمانى (انظر لو٢٢:٤٣).

[٤] ١يو٣:٢و٣، تك١٨:٤: " ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة".
[٥] انظر يو١٠:٣٠ " أنا والآب واحد".
[١] ٢كو٥:٢١، غل٣:١٣.
[٢] يو١:٢٩و٣٦، يو١٥:١، ١كو١٠:٤.
[٣] مر١٠:٤٥، يو١٣:٤و٥، مز٨٦:١٦ " أعطِ عبدك قوَّتك، وخلِّص ابن أمَتَك".
[٤] مت٢٤:٣٦.
[٥] مت ٢٤:٢٢و٢٩، مز٩٦:١٣ " لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالأمانة"، مز٩٨:٩ " جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة".
[٦] هذا هو ما شكل عثرة " الصليب "، انظر غل٥:١١، ١كو١:٢٢.
[٧] المقصود هنا الأحزان التي نجوزها خلال وجودنا في العالم بسبب قسوة البشر.
[٨] ٢كو١٢:٩، ١٣:٤، ١بط٢:٢٤، ٤:١٣.
[٩] مت٢٧:٥١.
[١٠] لو٢٣:٤٣.
[١١] يو٢٠:١١و١٢.
[١] ميلاد الابن الأزلي لا يستلزم انقساماً أو تجزئة للألوهة، ولا تقليلاً. فالآب لن يكون إلهاً أقل، وألوهيته لن تفقد شيئاً بولادته للابن الأزلي
[١] الكوارث المُلَمح عنها في هذه المقدمة هي انكسار الجيش الروماني ٣٧٨م في هادريانوبل Hadrianople والموت المُفجع للإمبراطور فالنس، الذي بعدما هرب والتجأ إلى كوخ (ليختبئ فيه) أدركه الغوط وأحاطوا بالكوخ وأضرموا فيه النيران حيث هلك الإمبراطور وسطها. وكان الأرثوذكس (المستقيمي الرأي من غير الآريوسيين) ينظرون إلى هذه النكسة على أنها دينونة (من الله) بسبب اعتقاد فالنس والذين يشاركونه في المراكز السامية، بالهرطقة الآريوسية.
[٢] " أعطى جوجاً موضعاً هناك للقبر في إسرائيل" بحسب الترجمة العبرية.
[٣] يُقبرهم (بحسب الترجمة العبرية).
[٤] أبعِد الأساقفة والكهنة الأرثوذكس عن كراسيهم ووظائفهم ليفسحوا مجالاً لأولئك المدعوين "الخائنين للإيمان" أى أولئك الذين كفروا واعتنقوا الآريوسية.
[٥] ١كو١:٢٤ " وأمّا للمدعُوِّين... فبالمسيح قوة الله وحكمة الله".

+ + +